الجزو الاول من الكشاف

[illegible]

ابو الفتح

ابكى بوزاوج كوز قدر ٤٥٠

وقف

صاحبه ومالكه اضعف العباد
حميد الدين المتولي بعمارت
سلطان بايزيد خان در استانبول
المدرس بها محمد جان

K. 438

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Fatih
350

قوله ان لو نزل القرآن لم يكن بيتدبر لم نكتب لحاز اثبت الكلام النفسي اولا لان نزول صفته ...
لانه في الاصل حركة من علو الى سفل وههنا الحركة معنوية اخذ الظهور ... الكون وعلو مرتبة الوجود العلم الاعلى ...
دفعات الى نبينا محمد قوله مولف منتظم التاليف جمع اشياء بينها تناسب ... الاشتقاق ...
لجنسه ترتيب الشرف والجودة فقيل موجب باب علم نحو قيل الله بالاولى ما بين المفردين ليحصل كلام ...
كل غرض افراد الحمل المناسبة قرينة من فرائد اللالي متناسقة وهذا انسب قوله متشابه ...
والتشابه وجه النصب على المدح والتقرير لانحصر موقعه او على انه حال من المستتر في الظرف ...
لان الظاهر ان يكون البدل بلا من اللفظ قوله بفصول وغايات قيل اراد الوقوف واواخر الاي ...
اواخر السور وكونه باللف قوله بينها بين السور بعضها مع بعض الاي كذلك قوله ...
قديمة عندهم واما على الاي المعتزلة فلان العلم والاحوال على الممكنات الخلم توجد بعد كلها اشياء عندهم ...
المصل لا يثبت الى الاحوال التي ذكرتموها اشياء فان بعض المعتزلة لا تقول بذلك اقول ...

فلا يكون كل الحمد لله واما ثانيا فلان المفرد المحلي باللام لا يقتضي العموم على مذهبه ومذهب علم التحصيل وسنفصل ق

قوله كيف الله الرحمن الرحيم فانك الست من رحمن جر لاحد يسمى للعواب يمكن السوال عن حرفه واجاب بالمتابعة حرفه ثم اعترض عليه بان شرط عدم صرف فعلان وجود فعلى ...
وتقدير جوابه انا لا نسلم انه يلزم من انتفاء الشرط انتفاء الشروط فانما يلزم لو كان انتفاء الشرط معتبرا لا يعتبر انتفاء وجود فعلى ليس لعدم الاستعمال بل للاختصاص العارض وهذا كما امتنع التانيث ...
مع فعلى امتنع على فعلانه فيما كان استعماله التانيث لا عارض لم يعتبر فلا يلزم الصرف فوجب المصير الى القياس على النظاير وفي هذا التقرير نظر وسوال السائل لما اعترف بان انتفاء فعلى للاختصاص يلزم ...
منع الصرف فانما يلزم لو كان بالنظر الى الاستعمال نعم لو قيل السايل سواله على انتفاء فعلى كان للمجيب ...
كالتذراخوانه نحو عطشان وسكران والعارض سو اختصاصه بالله منعه وهذا العارض كما منع وجود فعلى ...
فلو اعتبر العارض يلزم اجتماع النقيضين فلا بد من قطع النظر عن العارض والعود الى الاصل ...
عدم فعلى عنه موجبا للصرف فالجواب ان لا تحتمعان بالاتفاق فلا يلزم اجتماع النقيضين ولو سلم ان الاختصاص ...
التنصيص لاجرما لوجود الاختصاص فلا منع لقطع النظر عنه ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ونزله بحسب المصالح منجماً
وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً
وفصله سوراً وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات وما هي إلا صفات مبتدئ
مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ووسم كل
شيء سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه وحياً ناطقاً
ببينات وحجج قرآناً عربياً غير ذي عوج مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية مصداقاً
لما بين يديه من الكتب السماوية معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان دائراً
من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب
العرباء وأبكم به من تحدي به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للإتيان بما يوازيه
أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على
أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء وأوفر عدداً من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق
العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارة وإلقائهم الشراشر على المعازة
والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه
الشطط إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم
الحجة أولاً والسيف آخراً فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب
إن لم تمض الحجة حده فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على
الكواكب وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من أوحي إليه حبيب الله

أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني
لؤي ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ
الغرة الواضح التحجيل النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل وعلى آله الأطهار
وخلفائه من الأختان والأصهار وعلى جميع المهاجرين والأنصار اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة
طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية إن سبق العالم
العالم لم يسبقه إلا بخطا يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة
قصيرة وإنما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل
وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقى إلى أن عد
ألف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف
معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة
إلا أوحدهم وأخصهم وإلا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم
عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم ثم إن أملأ العلوم بما يغمر
القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات
أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم
كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام
والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من
ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان أنحى
من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق
ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم

المعاني وعلم البيان وتمهّل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة
وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح
معجزة رسول الله بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق
وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه وردّ وردّ عليه
فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها
مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس درّاكا للمحة وان لطف شأنها منتبها على الرمزة
وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر
مرتاضا غير ريّض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم
ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رأيت اخواننا في الدين
من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما
رجعوا اليّ في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب
واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا اليّ مقترحين ان املي عليهم
في الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا الا
المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء
على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه عليّ واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه
الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا
ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة
من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول
والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه

ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت
تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد
الى العثور على ذلك المملي متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهزّ ما رأيت من عطفي
وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة
الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس
ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش
الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي
عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم
ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت عليّ المستقالة وعيت بي الحيل ورأيتني
قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت
في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد
ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من
ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت عليّ من بركات هذا
الحرم المعظم اسأل الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين
يديّ وبيميني ونعم المسئول

سورة فاتحة الكتاب مكية

وقيل مكية
ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني
التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد
وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة
الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزئة بقراءتها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات

بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها

رضوان الله عليهم اجمعين على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور

وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب

ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة

والكوفة وفقهاؤهما رحمة الله عليهم على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي

واصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم

بتجريد القران ولذلك لم يثبتوا امين فلولا انها من القران لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله

عنه من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله **فان قلت** بم تعلقت الباء

قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقرو كما ان المسافر

اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك

الذابح وكل فاعل يبدا في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدا له ونظيره

في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون اي اذهب في تسع ايات وكذلك

قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست

او نكحت ومنه قوله. فقلت الى الطعام فقال منهم. فريق يحسد الانس الطعاما **فان قلت**

لم قدرت المحذوف متاخرا **قلت** لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم

كانوا يبدءون باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى

اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله

اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها

ومرسيها **فان قلت** فقد قال اقرا باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل

اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله

بالقراءة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت

بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى

يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلم كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر والا

كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق

به تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرا وكذلك

قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه

اعرب واحسن **فان قلت** فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرا **قلت**

هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله

رب العالمين الى اخره وكثير من القران على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون

باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فان قلت** من حق حروف المعاني التي جاءت

على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء

وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر **قلت** اما

اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم

احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا

يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدءوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم

عن كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج

لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال

باسم الذي في كل سورة سمه ، وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو
بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة
بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الأعلى
فإن قلت فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في
حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت
الباء تعويضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طول الباء وأظهر
السينات ودور الميم والله أصله الإله قال ، معاذ الإله أن تكون كظبية ، ونظيره
الناس أصله الأناس قال ، إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا ، فحذفت الهمزة وعوض
منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء
الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما
أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة
والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره
ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة
والحجر فإن قلت أاسم هو أم صفة قلت بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا
تصف به لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل
كريم خير وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها
صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فإن قلت هل لهذا الاسم
اشتقاق قلت معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا
الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك

وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا
الباطل وقل النظر الصحيح فإن قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر
الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا
عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل
منه كمريض وسقيم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا
والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في
الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم
بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم
هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه
الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق
والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما أن الله من الأسماء الغالبة وأما قول بني حنيفة
في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه ، وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا ، فباب من تعنتهم
في كفرهم فإن قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا قلت أقيسه على أخواته من بابه
أعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه فإن قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان
أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت
كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة
كندمانة فإذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل
قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فإن قلت ما معنى وصف الله بالرحمة
ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن إنعامه

على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه كما أنه إذا
أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فإن قلت فلم قدم ما هو
أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير
وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها
أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد والمدح أخوان وهو
الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على
حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال
أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو
إحدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده
وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على
مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال
بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه
الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله
وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي ينصبها العرب
بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها
سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها
معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب إلى الرفع للدلالة
على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني
للدلالة على أن إبراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على

معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل إياك نعبد
وإياك نستعين لأنه بيان لحمدهم كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد فإن قلت
ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه
الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو والعراك ما هو من بين أجناس الأفعال
والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال
لإتباعها اللام وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الحمد لله بضم اللام لإتباعها الدال والذي جسرهما
على ذلك والإتباع إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين
منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين وأشف القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية
تابعة للإعرابية التي هي أقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لأبي
سفيان لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه
فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل
ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالإضافة كقولهم رب الدار
ورب الناقة وقوله تعالى ارجع إلى ربك إنه ربي أحسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي
الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد
الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من
الأجسام والأعراض فإن قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فإن قلت
فهو اسم غير صفة وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام
قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين
ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم

وقرأ ابو هريرة رضي الله عنه مالكَ بالنصب وقرأ غيره مَلَكَ وهو نصب على المدح ومنهم من
قرأ مالكُ بالرفع ومَلِك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين والمُلك يخص ويوم الدين
يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل
الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار
والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك فان
قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف
فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم
الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا
فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك
العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز
ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف
والدليل عليه قراءة ابي حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت
على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته
ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه
مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به
وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق
منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من
الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم

ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارأيتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش
وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب فاياه وايا الشواب فشيء شاذ
لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد
قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف
الياء واَياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي
فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك
لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان
قلت لم عدل عن لفظ الغيبة قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون
من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد
التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي
ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبإ جاءني
وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام
اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء
اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما
ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق
بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه

ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا يحق العبادة إلا به فإن قلت
لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما
يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته فإن قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة قلت
لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها فإن قلت لم أطلقت
الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه
على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم
فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض
وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى أصله أن يتعدى باللام أو بإلى كقوله تعالى إن هذا
القرآن يهدي للتي هي أقوم وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار موسى قومه
ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الألطاف كقوله والذين اهتدوا
زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وأبي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة
الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحد منهما طلب وإنما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد
الله أرشدنا السراط الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه
كما سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لأجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر
وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن إخلاص الصاد وهي لغة قريش
وهي الثابتة في الإمام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد
به طريق الحق وهو ملة الإسلام صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في
حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم
كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فإن قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط

الذين أنعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار
بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين
بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون
ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك
ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وإيضاحا للأكرم الأفضل
فجعلته علما في الكرم والفضل فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه
بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون
وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته
واشتملت عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهم هم أصحاب موسى عليه السلام قبل أن يغيروا وقيل
هم الأنبياء عليهم السلام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
بدلا من الذين أنعمت عليهم على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين
السلامة من غضب الله والضلال فإن قلت كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا
يتعرف وإن أضيف إلى المعارف قلت الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله
ولقد أمر على اللئيم يسبني ولأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير إذا
الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل
أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى
لقوله قد ضلوا من قبل فإن قلت ما معنى غضب الله قلت هو إرادة الانتقام من العصاة
وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه

ونسأله رضاه ورحمته فإن قلت أي فرق بين عليهم الأولى والثانية قلت الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فإن قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول أنا زيداً غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيداً مثل ضارب لأنه بمنزلة قولك أنا زيداً لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الأفعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن عباس رضي الله عنه سألت رسول الله عليه السلام عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال

ويرحم الله عبداً قال آمينا

وقال

أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

وعن النبي عليه السلام لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الإمام لأنه الداعي وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن أصحابه رحمهم الله أنه يخفيها وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله عليه السلام وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها وعن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله عليه السلام أنه قال لأبي بن كعب رضي الله عنه ألا أخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ

صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب إذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي أن المسميات لما كانت ألفاظاً كأساميها وهي حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتقٍ إلى الثلاثة اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكناً ومما يضاهيها في إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب كقولك هذه ألف وكتبت ألفاً ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفاً ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناساً مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالاً من سمة الإعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططاً فإن قلت لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى

الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا ~~كما ترى دال على معنى في غيره وهذا~~ كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يا سين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس بناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددتها فقلت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء حروف المعجم وانها من

قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استيفاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الآخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى

بن شميل ثريت الابل حتى وارت عنوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي
تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف
كما قيل قيل واصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم
اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا
يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات
وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان
جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت
ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد
وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو
فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في
فرايضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة
كما قال عز وعلا والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلوتهم
يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي
يتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت
كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون
في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على
ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها
فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت

ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين
كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت
نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم
وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر فذاك امانة الله الثريد
قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين
قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا
يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى
ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى
بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال
انما اقسم بهذه الاشياء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون
كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن
والواو الآخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول لحياتي ثم حياتك لافعلن
فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا لا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة
الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا
بحذفها فقد جاء الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر
لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اثرت اليه
قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت
وجههما ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما

والقنوت القيام وبالركوع والسجود وقالوا سبّح إذا صلّى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه
كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلّى كالزكوة من زكّى وكتبتها بالواو على لفظ
المفخم وحقيقة صلّى حرّك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره
كفّر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين
وهما الكافرتان وقيل للداعي مصلّ تشبيهاً في تخشعه بالراكع والساجد وإسناد الرزق
إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله تعالى
ويسمى رزقاً منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفاً عن الإسراف والتبذير المنهي
عنه وقدّم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق
به وجائز أن يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه بأخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة
وأن يراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقاً يصلح أن يتناول كل
منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما
جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدالّ على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت
فإن قلت والذين يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط العاطف
كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله إلى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
قلت يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه
من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقاناً
زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار
لن تمسهم إلا أياماً معدودات واجتماعهم على الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون

اشتمت بهذه الأسامي ساكنة لذلك كما الجميع في آخر ما كان من المبنيات تعرضت تارة
معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء فإن قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغ
لي في المعربة من إرادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وأن تقدر حرف القسم مضمراً
في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين
إنا جعلناه وأما قولهم صليم حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له بالجر والنصب جميعاً على حذف
الجار وإضماره فإن قلت فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ خاصة قلت كأن
المعنى في ذلك الإشعار بأن الفرقان ليس إلا كلماً عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الألفاظ كما قال عز من قائل قرآناً عربياً فإن قلت فما بالها مكتوبة في
المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها قلت لأن الكلم لما كانت مركبة
من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن تلفظ
بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح
وأيضاً فإن شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأن اللافظ بها غير متهجاة
لا يحلى بطائل منها وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس
فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء
ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف
سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط
والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته
اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه والوجه الثاني أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا
مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة

نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام
منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم
دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزمام
الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز
ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم
يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر والخلاقة بالقبول
بمنزل ولمناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم
والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة
والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم
والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجاب بان
له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل
لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله
نور السموات والارض وليست بهذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والاي وانما
تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة والاية التي تلك فاتحتها فلما جرى
الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك
على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلثة
اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على
طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها
من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها

وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة
والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة
ذلك واما تسمية السورة كلها ببعضها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية
مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين
مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى
مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع
مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف
انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف
النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم
منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال
الله عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة
في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل
له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها
من احد واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء
وجدتها نصف اسامي حروف المعجم وهي اربعة عشر سواء وهي الالف واللام
والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين
والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا
نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان

ذلك أن فيما ذكر من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء
ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء و
القاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء
والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين
والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن
المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين
والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف
والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء و
الكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف
القلقلة نصفها القاف والطاء ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف
التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان
الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو
المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز وجل عدد على العرب الألفاظ
التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم ومما
يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم أن الألف
واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة
البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد
ويونس وإبراهيم ويوسف وهود والحجر فإن قلت فهلا عددت بأجمعها
في أول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لأن إعادة التنبيه على

أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض
وأقر له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في
القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فإن قلت فهلا جاءت على وتيرة
واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس
ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة
أحرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف قلت هذا على عادة افتنانهم في
أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما أن أبنية كلماتهم على حرف
وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح هذا المسلك فإن قلت
فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت إذا كان الغرض هو
التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص
ساقطا كما إذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك
هذا بزيد وذاك بعمرو لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك وكذلك لا يقال
لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام
ولنقيضه القعود فإن قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت
هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث وقعت من السور
المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في
سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية
وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون
ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فإن قلت

فكيف عدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عدّ الرحمن وحده ومدهامتان
وحدها آيتين على طريق التوقيف فإن قلت ما حكمها في باب الوقف قلت
يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده
وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت
وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا الم اي هذه الم ثم ابتدأ فقال
الله لا اله الا هو فإن قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت
نعم لها محل من الاعراب فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام
فإن قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء
واما النصب والجر فلما مرّ من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على
اللغتين واما من لم يجعلها اسماء السور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه
كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدودة فإن قلت لم صحت الاشارة
بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم
به وتقضّى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدّث الرجل بحديث
ثم يقول وذلك مما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال
الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي
ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك
وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به
فإن قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا
اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه

ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التأنيث
في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا
لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او
ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا
لذاك العاتب الزاري فإن قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم
قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ
وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان
ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه
الذي يستأهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع
لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد
وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر
مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة
وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة
الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل
او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف
من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه
وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة
الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق

يقول

طمأنينة أي فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه
صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس
ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه أنه مر بظبي حاقف فقال لا يربه أحد بشيء
فإن قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت
ما نفى أن أحداً لا يرتاب فيه وإنما المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له لأنه
من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه ألا
ترى إلى قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما
أبعد وجود الريب منهم وإنما عرّفهم الطريق إلى مزيل الريب وهو أن يحزروا
أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أو تتضاءل دونها فيتحققوا
عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فإن قلت فهلا قدم
الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول قلت لأن القصد في
إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب
كما كان المشركون يدعونه ولو أولي الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن
كتاباً آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على
خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه قيل ليس فيها ما في
غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق
بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه
هو المشهور وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من أن ينوي
خبراً ونظيره قوله تعالى لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز

والتقدير لا ريب فيه فيه هدى للمتقين والهدى مصدر على فُعَل كالسرى والبكى
وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله
تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى أو في ضلال مبين
ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولأن اهتدى مطاوع هدى ولن يكون
المطاوع في خلاف معنى أصله ألا ترى إلى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك فإن
قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز
المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته
كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء
لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلاً فله سلبه
وعن ابن عباس إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة
وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلاً ومريضاً وضالة
ومنه قوله تعالى ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً أي صائراً إلى الفجور والكفر فإن
قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لأن الضالين فريقان فريق
علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم مصيرهم إلى الهدى
فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة بقي أن يكون هدى لهؤلاء فلو
جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر
الكلام بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضاً فقد جعل
ذلك سلماً إلى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول
المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من

فوقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغاير وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكباير وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق اسم العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طايفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفي عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم

يخل كل واحدة من هذه الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما **فان قلت** ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فايدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا **قلت** يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسس عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين امّا العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار ساير العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد

الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان
تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك
فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان
يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة
وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم
من الحسنات ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين فتكون صفة برأسها دالة على فعل
الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي والايمان افعال من الامن
يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب و
المخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن
العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون
وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه
حق ويجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون
غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم
بالغيب وليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه
والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الآية **فان قلت**
فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا **قلت** ان جعلته صلة كان
بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة
قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمان من الارض غيبا وعن النضر

في الاجساد ثم افترقوا فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب
والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في
هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل فاهل الجنة مستغنون
عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور
واختلافهم في الدوام والانقطاع يكون المعطوف غير المعطوف عليه على معنى انهم الجامعون
بين تلك الصفات وهذه **فان قلت** فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في
جملة المتقين ام لا **قلت** ان عطفتهم على الذين يؤمنون دخلوا وكانت صفة المتقين
مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم
يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك **فان قلت**
قوله بما انزل اليك ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت
ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ الماضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم
فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب **قلت**
المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على
ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت و
زيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله
قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم
يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك
كلما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي
منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرا يزيد

ويحتمل ان يراد وصف الاولين دون توسط العاطف

بن قطب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة
على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما
أنزل إليك وما أنزل من قبلك والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه
والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار
الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف
الهمزة وألقى حركتها على اللام كقولهم دابة الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون
بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها كما قيل وجوه ووقتت ونحوه
لحب المؤقدان إلى مؤسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود أولئك على هدى الجملة في محل
الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين
أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك
أنه لما قيل هدى للمتقين فخص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن
يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى
ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها
خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن
ليسوا على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح
ونظيره قولك أحب رسول الله الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب
عن وجهه أولئك أهل للمحبة وإن جعلته تابعاً للمتقين وقع الاستئناف على أولئك
كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك

الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً واعلم أن هذا النوع
من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق
بالإحسان وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون
الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فإن قلت هل يجوز
أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره قلت نعم على أن يجعل
اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله وهم ظانون أنهم على
الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد
عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك
ثم عدد له خصالاً فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً
ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من
اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركباً وامتطى الجهل
واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضد
به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل ونكر هدى ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه ولا يقادر
قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلاً وقال الهذلي
فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي
وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو فقد روي عنه فيها
روايتان وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين

في تعيينهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها **فان قلت** لم جاء مع العاطف
وما الفرق بينه وبين قوله اوليك كالانعام بل هم اضل اوليك هم الغافلون **قلت** قد اختلف الخبران
ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم
بالبهايم شي واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفايدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فايدة المسند
ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اوليك ومعنى التعريف في المفلحون
الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل
بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التايب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت
صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك
هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين
وتوسيط الفصل بينه وبين اوليك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم
ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به
كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفايز
بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة
استفلجي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو
فلق وفلذ وفلي **ان الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**

لما قدم ذكر اوليايه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى
ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا
يجدي عليهم اللطف وسوا عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته **فان قلت** لم قطعت قصة
الكفار عن قصة المومنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة
قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه
هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب
وهما على حد لا مجال فيه للعاطف **فان قلت** هذا اذا زعمت ان الذين يومنون جار على المتقين فاما اذا
ابتداته وبنيت الكلام لصفة المومنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل تينك الآيتين
قلت قد مر لي ان الكلام المبتدا عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سوال فذلك
ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدا في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف
في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان
يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستوا
الانذار وتركه عليهم وسوا اسم بمعنى الاستوا وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى
كلمة سوا بيننا وبينكم في اربعة ايام سوا للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان واانذرتهم ام لم
تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول
ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون اانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتدا وسوا خبرا مقدما
بمعنى سوا عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان **فان قلت** الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه

في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب
يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك
اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان
لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى
على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام
كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان
احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم
بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها
والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح
فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين احدهما
الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله
الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح
ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين
كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت
اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة

من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع
وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما
الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم
عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق
منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما
غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها
وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة
في اللسان والعي ختما عليه فقال شعر ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد
النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر فان قلت فلم اسند الختم الى الله واسناده اليه يدل على المنع من قبول
الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه
ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما
نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله فلينبه على ان هذه
الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه
يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة
صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا
كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه
ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت

وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة **فان قلت** اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة
في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول **قلت** على دخولها في حكم الختم لقوله وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم **فان قلت** اي فائدة في
تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم **قلت** لو لم تكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في
تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين
ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم
يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا
تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس
سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم **فان قلت** هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف
الاستعلاء وهو الصاد **قلت** لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين
وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال البصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات
كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار
والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة
بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل
النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع

به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال من سال به الوادي قلوب
ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا
تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز
ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة
تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده
الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة
الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء
دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم
وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة
ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر
الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع
وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمنون ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة
ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا
طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم تبق طريق الا ان يقسرهم ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم
لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين
ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء
وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس

العطش ويدعه بخلاف الري فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا
لأنه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة
والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون
الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى
التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام
العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر
الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا
الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا
وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة
وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك
أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال
الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين
عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته
تخفيفا كما قيل لوقة في ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان
وأناسي وإنس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا

ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا تراك تقول في وزن قه افعل وليس معك إلا العين وحدها
وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان ورويجل ولام التعريف فيه
للجنس ويجوز أن تكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله
بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان
فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله تعالى من
المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي
فإن قلت كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا
وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة
زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فإن الأجناس
إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأبى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت
الجنسية فإن قلت لم اختص بالذكر الإيمان بالله واليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف
عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم كانوا يهودا وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير
ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا
مضاعفا وكفرا موجها لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا إيمان
فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي كان خبثا
إلى خبث وكفرا إلى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه
وأحاطوا بأوليه وآخره وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام

فإن قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن
الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك
في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو إخراج
ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في
الإيمان وإذا شهد عليهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا
إثباته لأنفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها فإن قلت فلم جاء الإيمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الأول
قلت يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط
لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما فإن قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز أن
يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد
الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة
الذي لا حد للوقت بعده يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون
الخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع إذا أمر
الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر فإن قلت كيف ذلك
ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا
يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله
واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة إن الحليم وذا الإسلام يختلب
إن الكريم إذا خادعته انخدعا

فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم
مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث
أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة
صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم والثاني
أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله
نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل القبائح
فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز أن يدلس على
عباده ويخدعهم والثالث أن يذكر الله ويراد الرسول لأنه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه
مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله
ورسمهم رسمه مصداقه قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ومن يطع الرسول
فقد أطاع الله والرابع أن يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله
وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله
والله ورسوله أحق أن يرضوه وكذلك إن الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا
فاضلا الغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لأنه كان معلوما له قديما كأنه قيل
علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فإن قلت هل للاقتصار
بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه أن يقال عني به فعلت إلا أنه
أخرج في زنة فاعلت لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه

فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون **فان قلت** عم كانوا يخادعون **قلت** كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم **فان قلت** فلو اظهره عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها **قلت** لم يظهره عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهره عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته وما ام عليهم من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة **فان قلت** ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم **قلت** يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدّعون

ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون** واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائضها والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي

على رسول الله صلعم والمومنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها في قوله
قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان
تمسسكم حسنة تسوءهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله
صلعم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه
شرق بذلك او اريد به ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم
كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن
ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس عند انزال الله على رسوله النصر
واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين
قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملايكة
قال رسول الله صلعم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا
انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله
هو الذي زادهم ما ازدادوه اسناد الفعل الى المسبب له كما اسند الى السورة في
قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في
البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم
ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع
وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء ويقال الم فهو اليم كوجع

فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم
جد جده والالم في الحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله
وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم
من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا والقوم كفرة وانما خصت
الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح
كله واما ما روي عن ابرهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض ولكن
لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه
مجانب الايمان وقرى يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما
بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك
موتت البهايم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان
المنافق متحير متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين
تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون
معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل
لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال الاستقامة وكونه
منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في
الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن
احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنياوية قال الله تعالى واذا تولى سعى

في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ومنه قيل للحرب الهيج الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا
يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما
يودي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مودياً الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول
للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر
الحكم على شي كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشي على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما
نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من
وجوه الفساد الا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق
ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقاً كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها
في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها
التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك
رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة
فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل وقوله لا يشعرون انهم في النصح من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه
لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع
ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم
لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد
الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا
الكلام فهو كقولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان تكون
كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول
الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم
وابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية
او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل
والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك
ان زيدا قد سعى بك فيقول اوقد فعل السفيه ويجوز ان تكون للجنس وينطوي تحته الجاري
ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا
عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما كانوا فيه
هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً ويحتمل ان يريدوا بهم فقراء
المسلمين لان اكثرهم كانوا فقراء ومنهم موالٍ كصهيب وبلال وخباب ويدعوهم سفهاء تحقيراً لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام
واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل
التجلد توقياً من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة
الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت
لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال
حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في

الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه
اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن
اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن
اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت
مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما
خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان
منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم
وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقايدهم باعث ومحرك وهكذا
كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ
التاكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون فيه بين ظهراني المهاجرين والانصار
الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله تعالى قول المؤمنين ربنا انا
آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار
على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح
للمتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة
للتوكيد فان قلت انى يتعلق قوله انما نحن مستهزءون بقوله انا معكم قلت هو توكيد
له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام
ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض

الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم
وما كان بينهم من التغاور والتناحر والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه
وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا لمساق هذه الاية بخلاف ما سبقت له في اول قصة
المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا
يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه الصادقين وايهامهم
انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي
واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلعم فقال عبد الله انظروا
كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال
مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه
كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت
ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري
ملاقي وملاقيي وقرأ ابو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت
معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى ومنه خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت
به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية
بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا

الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم
اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا لهم ان صح انكم توافقوننا فما بالكم توافقون اهل
الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب
الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ اذا مات على المكان عن بعض العرب
مشيت فلغبت فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف فان قلت
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من
باب العبث والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما
معنى استهزائه قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه
هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد
لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم
حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من
انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء
باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله
يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه
ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء
ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي
يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت

فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء
وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول
في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك
مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان
في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد
دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن
ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز
ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما الذي على انهم لما
منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم تتزايد الرين والظلمة فيها
تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله لانه مسبب عن فعله بهم
بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه
وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه
قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشيطان لكن المعنى الصحيح مطابقة اللفظ
وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد
في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد

اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم
يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي
في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان **فان قلت** اي نكتة في اضافته اليهم **قلت**
فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه رداً لاعتقاد
الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفياً لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف
الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط
الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد
الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر
والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا
رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضاً عمهاء لا منار بها **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها
به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة رأساً ازعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمراً جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله
فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة **فان قلت**
كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى **قلت** جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه في
ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر
الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء

يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك
سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو
الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة تجاراتهم **فان قلت**
كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها **قلت** هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي
هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين **فان قلت** هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي **قلت**
نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت اسداً وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح **فان قلت**
هب ان شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة
قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها
واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاماً احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقاً وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب
في البليد كأن اذني قلبه خطلاء وان يجعلوه كالحمار ثم يشحوا ذلك تحقيقاً للبلادة فادعوا لقلبه اذنين
وادعوا لها الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلاً يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش
والوكر ونحوه قول بعض فتاك العرب في امه فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها
تنفقناه بالحبل التؤام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثني المحكم يريد
اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا واحتلنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولاً ثم ضم
اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه
تمثيلاً لخسارهم وتصويراً لحقيقته **فان قلت** ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين **قلت** معناه

ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين معا
لان راس مالهم كان هو الهدي فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة
الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاعراض الدنياوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد
ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مثلهم كمثل الذي استوقد
لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار
العلماء المثل والنظاير شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ودفع الاستار عن الحقايق حتى تريك المتخيل
في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغايب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح
الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي ساير كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبياء والحكماء
قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم
بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول الساير الممثل مضربه بمورده مثل
ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم
حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد
نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او
القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك
قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في
بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي
صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه

صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم
كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين ولا نحوه
من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه
مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على
اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون وانما ذاك علامة
لزيادة الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقد
او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه
الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وقود النار سطوعها وارتفاع لهبها
ومن اخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضي حار محرق والنور ضوءها
وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها
والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل
ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده
قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه اخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله
بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران
والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله
بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس

للدال عليه وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو
أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين
متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار **فإن قلت** فإذا قدر الجواب محذوفاً فبم
يتعلق ذهب الله بنورهم **قلت** يكون كلاماً مستأنفاً كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره
اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون
بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان **فإن قلت** قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في
الوجه الثاني **قلت** مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فلحمله
على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى **فإن قلت** فما معنى إسناد الفعل إلى الله في قوله ذهب الله بنورهم **قلت** إذا
النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد
نار لا يرضاها الله ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة
اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله وإما ناراً حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا
بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فأطفأها الله وخيب أمانيهم **فإن قلت**
كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد **قلت** هو خارج على طريقة المجاز
المرشح فأحسن تدبره **فإن قلت** هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت **قلت** ذكر النور أبلغ لأن الضوء
فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً والغرض إزالة النور
عنهم رأساً وطمسه أصلاً ألا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور
وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان

وهو قوله لا يبصرون **فإن قلت** فلم وصفت بالإضاءة **قلت** هذا على مذهب قولهم للباطل صولة
ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل للنزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به
أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان
بماله أخذه فلما ذهبوا به إذاً لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ
الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم وترك
بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير
فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات
أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها
من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات
بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح
الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلاً نحو يعمهون
في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون **فإن قلت** فيم شبهت حالهم بحال المستوقد **قلت** في أنهم غب الإضاءة
خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة **فإن قلت** وأين الإضاءة في حال المنافق وهل هو أبداً إلا حائر
خابط في ظلماء الكفر **قلت** المراد ما استضاءوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء
استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه
بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق
والأوجه أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة

بالهدى عقيب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع
بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمي فهم لا يرجعون
كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا
ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ⁘ وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ⁘ اصم عما ساءه سميع ⁘ اصم عن الشيء الذي لا اريده
واسمع خلق الله حين اريد ⁘ فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقته عند
علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في
الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما
وعن الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على
تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث
يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة
الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف ⁘ له لبد اظفاره لم تقلم
ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام
ويصعد حتى يظن الجهول ⁘ بان له حاجة في السماء ⁘ ولبعضهم للحيوان في سربال [illegible]
ففيه غيث وليث مسبل مشبل ⁘ وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتساق
بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر ⁘ ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه

او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في
مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدءوا منه
او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون
اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ثنى الله سبحانه في
شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ
في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ
يرمون بالخطب الطوال وتارة ⁘ وحي الملاحظ خيفة الرقباء ⁘ ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي
الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي
الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه ⁘ اذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت
قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار
فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول
شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه
الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا
والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء
على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به
كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كان
قلوب الطير رطبا ويابسا ⁘ لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء

مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه
وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه
علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد
واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها عن بعض
لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة
من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل
الذين حملوا التورية الاية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية وآياتها الباهرة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها
من الاوقار ولا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد
غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم
وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد
ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من
الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق عن التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او
كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله
يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية
المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به ام لم يله الا ترى

الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد
آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد شعر وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم
وفناءهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت
الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون
الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين
فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين
تريد انهما سيان في استصواب ان تجالسهما ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان
في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين
وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما
جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل من صاب يصوب ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا
واسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار
في التمثيل الاول وقرئ او كصائب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت
قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة
فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما
ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء
والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير

أمكن ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم
أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فإن قلت بم ارتفع ظلمات
قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب
وتنتقض إذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء
بريقا إذا لمع فإن قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو أن يراد به السحاب أو المطر
فأيهما أريد فما ظلماته قلت أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مع
ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة إظلال غمامه مع ظلمة
الليل فإن قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب قلت إذا كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين
في الجملة فهما فيه ألا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه إلا في حيز يشغله جرمه فإن قلت هلا جمع الرعد
والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما
قيل ظلمات قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل يقال رعدت
السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع والثاني أن يراد الحدثان
كأنه قيل وإرعاد وإبراق وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات
داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون إلى أصحاب الصيب مع كونه
محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال أو هم قائلون لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه
ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق
السلسل حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لأنه

لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد
فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم يكاد البرق يخطف أبصارهم فإن قلت رؤوس الأصابع هي التي تجعل
في الآذان فهلا قيل أناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا
وجوهكم وأيديكم إلى المرافق فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذي هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ وأيضا في ذكر الأصابع
من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل فإن قلت فالإصبع الذي تسد به الأذن إصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام
دون الخاص قلت لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها
فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فإن قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي ألفاظ مستحدثة
لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون
أصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من
السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود
يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق
أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع
وليس بقلب للصواعق لأن كلا البناءين سواء في التصرف وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك
تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما
في التصرف وبناؤها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدرا كا
لكاذبة والعافية وقرأ ابن أبي ليلى حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له كقوله وأغفر عوراء الكريم
ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحياة وإحاطة الله بالكافرين

مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير الخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف ابصارهم بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء

العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا ولو شاء الله لذهب بتقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها

ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحو فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا **فان قلت** فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر **قلت** هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك

يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة **فان قلت** فلم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره **قلت** لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ **فان قلت** لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المومنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما يحكى عن علقمة والحسن فالمومنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هذا الا كقول القايل فلو اني فعلت كنت كمن تسأله وهو قايم ان يقوم واما الكافرون فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه **قلت** المراد بعبادة المومنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة شرايطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله **فان قلت** فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها **قلت** الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر **فان قلت** ربكم ما المراد به **قلت** كان المشركون يعتقدون ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة

بمميزة وإذا كان الخطاب للفريقين جميعاً فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح
والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة إلا أن الأول أوضح وأصح والخلق إيجاد الشيء على
تقدير واستواء يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالإدغام وقرأ ابن السميفع
وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال أقحم الموصول
الثاني بين الأول وصلته تأكيداً كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيماً الثاني بين الأول وما أضيف إليه
وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في قولك لا أبا لك ولعل للترجي أو الإشفاق تقول لعل
زيداً يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا
مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل
ما يطمع فيه لا محالة لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال إن لعل بمعنى كي ولعل لا يكون
بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وأيضاً فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن
يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات
أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم
يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العزة والكبرياء أو يجيء
على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى
ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم فإن قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه
في شيء لأن قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن نحمله على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة
وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضاً ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز

لا الحقيقة لأن الله خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في إقدارهم وتمكينهم وهداهم
النجدين ووضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم
وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل ومصداقه قوله
تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم
على الاختيار فإن قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره
عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً
فإن قلت فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت
ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده
فإذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد إلزاماً
لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني إلا لجر الأثقال
ولو قلت لحمل خريطة الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل
من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون قدم سبحانه
من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولاً لأنه سابقة أصول النعم ومقدمها
والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه
وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا
القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه
النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبراً ومتسلقاً إلى النظر الموصل

الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم
وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس
كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان
يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب
من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون
عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده **فان قلت** هل فيه دليل على ان
الارض مسطحة وليست بكرية **قلت** ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على
شكل السطح او على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها
واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر
سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا **فان قلت** ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته
قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس
كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا
من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا
صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج
وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله تعالى فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله تعالى فاخرجنا
به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل

وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة
المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان
يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا **فان قلت** فبم انتصب رزقا **قلت** ان كانت من للتبعيض
كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج **فان قلت** فالثمر المخرج بماء السماء
كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار **قلت** فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات
جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته
وقولهم للقرية مدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية
كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد
ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم
فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا **قلت** فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا
لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا تجعل لله ندا ولا شريكا او بلعل على ان ينتصب تجعلوا
انتصاب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي
خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي خصكم
بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة والبراهين الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال
الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل
خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه
فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه

قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته
ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا
كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا
ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا **فان قلت** ما معنى وانتم تعلمون
قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال
والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم
من قريش وكنانة لا يصطلي بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك
كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم
من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه اله واحد
او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم**
من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك
ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه
من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد عم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة
واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان
يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته **فان قلت** لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل
دون الانزال **قلت** لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من محازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا

يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة
وآيات عقيب آيات على حسب النوائب وحدوث الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر
من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة
والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة
فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من
نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور وآيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت
ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة
التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن
محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء
سور المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة **قال النابغة** ولرهط حراب وقد سورة في المجد
ليس غرابها بمطار لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها
طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها
قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه **فان قلت** ما فائدة تفصيل
القرآن وتقطيعه سورا **قلت** ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل
والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في
كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على

اصنافه كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من
الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب
بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه
للسير ومن ثم جزئ القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد
انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في
نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت
القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملائمة بعضها
لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة
لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت
وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة
في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد
الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم
والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله
مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع
رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه
ومربوط به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله

فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله عليه السلام ان يقال
وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان يأتوا بطائفة
يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا
الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة
ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون ودون ذلك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه
من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في
الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك
واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك
دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا
او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون
لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها
وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا
ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون
اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار
بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم
الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم

فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعلقه بالدعاء في هذا الوجه جائز فان علقته بالدعاء
فمعناه وادعوا من دون الله شهداكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما
يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها
الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا
غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة
وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة
او ادعوا شهداكم من دون الله يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق
رواحلكم والجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في
معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي عليه السلام وما جاء به
وان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان
لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب
وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه
الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فلم جي باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت
فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل
التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول
الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه
غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت

لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك
اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته
ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل
عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها
قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في بابه قلت لا ولن اختان في
نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا
كما تقول في انا مقيم اني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصله لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها
نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فان قلت
من اين لك انه اخبار عن الغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء
لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر
عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت
ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن
المعارضة صح عندهم صدق رسول الله عليه السلام واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا
استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان
اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان
يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما
هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو

وجلية القرآن وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة
النار وتفظيع أمرها والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا
من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر
الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حياة
المصباح السليط أي ليست حياته إلا به فكأن نفس السليط حياته **فإن قلت** صلة الذي والتي يجب
أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة **قلت**
لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى
في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة **فإن قلت** فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة
في سورة التحريم وههنا معرفة **قلت** تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت
هذه بالمدينة مشارا بها إلى ما عرفوه أولا **فإن قلت** ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة
قلت معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وبأن
غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولا بالوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك
أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبأنها لإفراط حرها وشدة
ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهيبها **فإن قلت** أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة
أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة **قلت** بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك
تنكيرها في قوله قوا أنفسكم وأهليكم نارا فأنذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين
كما أن لكفرة الإنس نارا وقودها هؤلاء جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب **فإن قلت** لم قرن الناس بالحجارة

وجعل الحجارة معهم وقودا **قلت** لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله
أندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة
لما نحن فيه فقوله إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار
في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم
بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم وإغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله با
لكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في
نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عن المعنى
الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل أعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد بمعنى العدة

**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون**

من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف
والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين
التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب **فإن قلت**
من المأمور بقوله وبشر **قلت** يجوز أن يكون رسول الله وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام
بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور
به وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر
على البشارة به **فإن قلت** علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه **قلت**

ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو
جملة وصف ثواب المومنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق
وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما
جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان
فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان
بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه
واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه
واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة
نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب
تأتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي
فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان
يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد منه لان وزانه في تناول الجمعية في
الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام
قلت الجملة من الاعمال الصالحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف
والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا
اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة

من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت
الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحوا الجنة
وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت
ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب
استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح
ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما وجد منه من فعل الطاعة وترك المعصية
فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول
ان الاحسان انما يستحق عليه فاعله المثوبة والشكر اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع
وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه عليه السلام وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن
عملك وقال للمومنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط
والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار
الجارية وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره
مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت
آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس
الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى
بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما
من صاحبه ولما قدمه على ساير نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى

نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهَر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد
المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد عليه يومان **فان قلت** لم نكرت الجنات وعرفت الانهار
قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري
والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام
من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير
آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ
محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه أثمار تلك الجنات اشباه ثمار
جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها
وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله **فان قلت** ما موقع من ثمرة **قلت** هو كقولك كلما اكلت من بستانك من
الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها
او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد
ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين
ثمرة رزق من بستانه فيقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمن الجنات ثم جعل
مقيدا بالابتداء من ضمن الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة
على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار **ووجه آخر** وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت
منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة **فان قلت**
كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا

١٩

قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف
ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله واتوا به
قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين
ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع
الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد **فان قلت** لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما
بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر **قلت** لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما
لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه
الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال
استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد وان كان
فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان
الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغرى ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن
والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده
ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية
واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما
وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام
الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد
من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود

والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى
ان ما يرزقونه من ثمرات يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة ثم يؤتى بالاخرى
فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد
بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها
والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو الوجه **فان قلت** كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام
قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة
اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان
طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل
تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما يأخذنه من اعراق السوء
والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن **فان قلت** فهلا
جاءت الصفة مجموعة كالموصوف **قلت** هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء
فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة وإذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما
احوجني الى بيت الله فأطهر به اطهرة اي فأتطهر به تطهرة **فان قلت** هلا قيل طاهرة **قلت** في مطهرة فخامة
لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله المريد بعباده الصالحين ان يخولهم
كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت
فهم الخالدون **وقال امرؤ القيس** الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة
فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا
مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين** سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة
والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان يكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع
للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب
وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم
والحقارة في المضروب به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب
للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل
لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها
واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت
لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في
تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين
عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق
الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم
فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا
سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفجرة
في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات

والبوم وهذه امثال العرب بين ايديهم مستفيضة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشيا فقالوا اجمع
من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واطرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في
البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشيا
كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشيا وباحقر منها مما لا
يخفى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث
بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة
والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب
للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية والحياء تغير وانكسار
يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي
الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا
فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في شدة الحيا وذاب حيا وجمد في مكانه خجلا
فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك
في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه
صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حيا منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي
اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في
كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقا

واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب ومنه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها
اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد
عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله
در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه
واسد مدارجه وقد استشهد للحيا فيما لا يصح فيه اذا ما استحين الما يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بيا واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه
واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماله وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب
خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما
كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب
مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف
صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر وهو ان يكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا
من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشيا المحقرة مثلا بله البعوضة
فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله لا يستحيي ان يمثل للانداد وحقارة شانها بما
لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم
كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهذه القراءة
تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما
اظن ذهب الى هذه القراءة الا وهذا الوجه هو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانه عطف بيان

للمثل او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين لجري ضرب مجرى جعل
واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد لنعم البيت بيت ابي
دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشي لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على
فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها
في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو
فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد
بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك
وقد ذم من عرفه بشح بادي بخ فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين وهو السيان يبخل بنصف
بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين
ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على
عايشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب
فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله عليه السلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهو نحو نخبة النملة في قوله عليه السلم ما اصاب
المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة كالخرور على
الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان
جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها
ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا

سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة
تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر
منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم
يا من يرى مد البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
وفايدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة
ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من
شي فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين
به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المومنين واعتداد بعلمهم انه الحق
ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره
يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما
موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة
فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما
وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق
الجواب السوال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرء خير وفي جواب
ما الذي رايت خيرا وقرى قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على
التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشي اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك

وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه
وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للبارى مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر
زايد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير
ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان ضرب
وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عايشة في عبد الله بن عمرو بن عاص
يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا
جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم
اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين
باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة
وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل
بحسن مورده من باب الضلالة التي ازدادت الجهلة خبطا في ظلماتهم **فان قلت** لم وصف
المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مايه
لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله **قلت** اهل الهدى كثير في انفسهم وحين
يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين
كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا قال ان الكرام كثير في البلاد
وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما
ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله

انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود
فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة
فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به
الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق
في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة
المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن
اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن
في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل
له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة
من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون النقض الفسخ
وفك التركيب **فان قلت** من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد **قلت** من
حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين
ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن
قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة
ولطايفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا

بتلك الرمية على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا
تزوجت امراة فاستوثر تعلم ثقل هذا الوارد فقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر
وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه و
استعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهولاء الناقضين لعهد الله احبار
اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا **فان قلت** فما المراد بعهد الله **قلت**
ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول
يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم
كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سانزل
عليك كتابا فيه نبا بني اسرائيل وما اريتهم اياهم من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا
من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنيع الذين قاموا بميثاق
الله واوفوا بعهده ونصري اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا
ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من
التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا
دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول
الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به
النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من

النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله
والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقه كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد
والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقه عليهم او من بعد ما وثق
به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام
وموالاة المومنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على
الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض **فان قلت** ما الامر **قلت** طلب الفعل ممن هو
دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه
من يتولاه شبه بآمر يامره فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل
له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون
لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها **كيف**
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثله
في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار و
التعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح **فان قلت** قولك
اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع
ما ذكر من الاماتة والاحياء **قلت** قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف
عن الكفر والداعي الى الايمان **فان قلت** فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل

والابدان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا
للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات
تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها
انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره
انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة
عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق
البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض
ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو
على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون
بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم
ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل
والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال
عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون
وانتم عالمون بهذه القصة باولها واخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على
اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجهه قلت قد ذكرنا ان
معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية
فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم

كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من
العلم بهما بالدلائل الموصلة فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا
والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل امواتا في حال كونهم جمادا
وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة
كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما
في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد
به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف
الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ
واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به
النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى
الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها
لانها مشتملة على ايات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر
قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده ايات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم
لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع
الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه
من التذكير بالاخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون

المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة
والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والحشرات والسموم والغموم
والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشيآء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى
المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقة لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان
قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان
اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبرآء كما تذكر السمآء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان
الغبرآء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستوآء
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم
المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شي ومنه استعير قوله ثم استوى الى السمآء
اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شي
اخر والمراد بالسمآء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع
سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السمآء والسمآء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة
والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن واخلاؤه من العوج والفطور واتمام
خلقهن وهو بكل شي عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض
على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما ثبت بمعنى الاستوآء الى السمآء
يناقضه ثم لاعطايه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل
خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان

بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السمآء
لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر فان قلت اما
يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم
خلقه خلق السمآء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس
كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات و
امسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا
رتقا وهو الالتزاق وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدمآء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون واذ نصب
باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل في
جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا
والخبر وهما قولك في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة
من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته
فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفآء قلت اريد بالخليفة ادم واستغنى
بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم
او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم
كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي
غرض اخبرهم بذلك قلت ليسالوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته

في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم
عباده المشاورة. اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو
الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى
تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في
علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون فكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او
قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ
ويُسفك بضم الياء ويُسفِّك ويَسفك من اسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن
الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من
سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي
نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من
عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا
بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة
وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم ادم
الاسماء كلها وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واشتقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض
نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا

اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وشالخ
وفالغ واشباه ذلك. الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه
معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله
واشتعل الراس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وان الاصل وعلم ادم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه
بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم
فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب
تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه باسماء المسميات قلت اراه
الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه
احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات
وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء
على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين
للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد
كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر
المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك
واشرح وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان

العرض لا يصح في الأسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة
فيهما **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين**
السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على سبيل التكرمة كما سجدت الملائكة
لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان يختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر
للملائكةُ اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة
الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمدُ لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا
بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء
واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين
من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر
ربه **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة**
فتكونا من الظالمين السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد
للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها
وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه
التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع
الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها
الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تِقربا
بكسر التاء وهذي والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابرة

وسوء دابهما من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على
تقربا او نصب جواب للنهي **فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا**
بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين الضمير في عنها للشجرة اي
حملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه
مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن
الجنة وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر
كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير
للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة
لان المعنى صدرت وسوسته عنها **فان قلت** كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته
لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم **قلت** يجوز ان يمنع دخولها على جهة
التقرب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء
وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول
فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا الخطاب لآدم
وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا
اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها
جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم

يريد ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل
بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع
بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**
انه هو التواب الرحيم معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل
بها حين علمها وقرئ بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به
فان قلت ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن
مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا
انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ الروح من
روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى
قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة
ادم دون توبة حوا لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النسا في اكثر القران والسنة
لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول **قلنا**
اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا **قلت**
للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى **فان قلت** ما جواب
الشرط الاول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت

اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله
والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي **فان قلت** فلم جي بكلمة
الشك واتيان الهدى كاين لا محالة لوجوبه **قلت** للايذان بان الايمان بالله
والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا
كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم
من النظر والاستدلال **فان قلت** الخطيئة التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة
فالكبيرة لا تجوز على الانبيا وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع
اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السما كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان
ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة مغمورة
باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما
جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته
في اجتناب الخطايا واتقا المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا
جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي**
انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون اسرائيل هو يعقوب عليه السلام
لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف
مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها
ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم

الانجا من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم
وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة
والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت
عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي
واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله
ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم
عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك
زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ
في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا
بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل
عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم
ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون اول من كفر به
او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا
حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به
لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين
كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس
كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة

الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل
مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو
مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به
والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم
اذ تنصرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا والا فالثمن هو
المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو
اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق
الذي كل اتى كتب الله قليل وكل كبير الى جنبها بالحقير القليل وقيل كانت عامتهم
يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على
تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال
ليكتموا او يحرفوا ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
واركعوا مع الراكعين الباء التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست
الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فتخلط الحق المنزل
بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي
في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه
وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع

أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن
فإن قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم
إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لأن لبس الحق
بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة
صفة محمد أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون
يعني كاتمين وأنتم تعلمون في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل
بالقبيح ربما عذر راكبه وأقيموا الصلاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين
لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز
أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمرا بأن يصلى مع المصلين
يعني في الجماعة كأنه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين أتأمرون الناس بالبر
وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون أتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب
من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم
صدقت وبررت وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد
ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها
خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني أن ناسا من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار
فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف
إلى غيرها وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وأنتم تتلون الكتاب تبكيت مثل

قوله وأنتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد وفيها الوعيد على
الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون توبيخ عظيم أفلا تفطنون
لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو
العقول لأن العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله
أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون
أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون واستعينوا في حوائجكم إلى الله بالصبر والصلاة
أي بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب
فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس
من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار
السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة
واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى
الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه إذا حزبه أمر فزع إلى
الصلاة وعن ابن عباس أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق
فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر
والصلاة وقيل الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر
الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء
إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه وإنها الضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن

يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم الى واستعينوا لكبيرة لثاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما
يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى
قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه
وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك
ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة
خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال
والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة
لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا
والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد
ومنه خضعت بقولها اذا لينته يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم
الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا
هم ينصرون يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث

في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان
يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرا لا تجزي
من اجزا عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرا ابو السرار
الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت
فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما
انشده ابو علي تروحي اجدر ان تقيلي اي اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول
اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله
ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء
وهو الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة
ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب
الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت
هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس
عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل
للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية
العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت
بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل

شفاعتها كما لا تغني عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه
النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي كما تقول ثلثة انفس اصل آل
اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك
واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم
وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاء
موسى الكليم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا
ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم
عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق ومن سوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء
العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون بيان
لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهئون قول الذين كفروا وقرأ الزهري
يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان
الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما
اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة
ان اشير به الى الانجاء واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون
فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين
الشيئين وفرق بين الاشياء لانها كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم

قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما
فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم
وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم شعر تدوس بنا الجماجم والتريبا
اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا
نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني
على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت
فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد
ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون لما دخل
بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى
ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة
لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور
من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد
ذلك من بعد ارتكابكم للامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان
تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا
يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين
الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني

الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر
والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام
وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يريد يوم بدر وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم
فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم

قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد
العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه
المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا
بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد
طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون امين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى
وهارون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة
فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا **فان قلت** ما الفرق بين
الفاآت **قلت** الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان
المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز
ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة
بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب الله
عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى

فتاب عليكم بارئكم **فان قلت** من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ **قلت** البارئ
هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه
من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة
العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة بريا من التفاوت والتنافر
الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا
انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم
حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها وإذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون

قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قالت عشرة الاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من
قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب
مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل
الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع
جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان
يكون في جهة محال وان من استجاز الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه
بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصاعقة
كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة الصاعقة
ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء

وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام
لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون
اليه لقوله وانتم تنظرون وقرئ على رض فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد
الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذ رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت
وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب
يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل
صاع انسان ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه
كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام
بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين القرية بيت المقدس وقيل
اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه الباب باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا
يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء اليه شكرا
لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات
وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة
فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة

والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر
جميل وكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه
امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان
تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه قلت لا يبعد والاجود ان
تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء
والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان
مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا
غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه ما امروا
به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا
بلفظ اخر لانهم لو جاؤوا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يواخذوا به كما لو قالوا
مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وقيل قالوا مكان حطة حنطة
وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا
عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة
في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا
عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون
اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك

حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما

كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقا واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع

لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال

اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم

الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير

الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن

والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا

بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم

لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز

ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة

اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب

ونحو ذلك يعني يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به

اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ

وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اختبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة

ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون

مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة

كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرا

الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا

في الارض مفسدين عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر و

اللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا

مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى

السبط الذي امرت تسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه

ادم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع

عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا

الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له

الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة

وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما

نزلوا القاه وقيل كان من رخام وقيل ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل كان

عصاه من اس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان

يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت

كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين

وبفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول

من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه

الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في

تغير الحرفين ادنا بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرى اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه
من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس
الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع
السببين وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة
والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد
الله وقرا به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب وضربت
عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه
او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون
اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف
عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به
لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة
والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود
شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما
فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في
الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم
لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرا علي رض ويقتلون بالتشديد ذلك
تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء

مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار
بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا
فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر
والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان الذين آمنوا بالسنتهم
من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود
وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال
رجل نصران وامراة نصرانة فالنصرانة لم تخفف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في
احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا
عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا
ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم
وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم
اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة
كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في
التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلم جاءهم
بالالواح فراوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر

جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي
عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا
ما فيه واحفظوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء
منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك فلولا
فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل
الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ تذكروا واذكروا ولقد علمتم الذين اعتدوا
الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان
ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك
ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت واذا مضى تفرقت كما قال
تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا
اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم
قردة خاسئين خبر ان اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها نكالا
لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها
اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم
ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما
بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم
وما تأخر منها وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى

لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين كان في
بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته
فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان
هزء او اهل هزء او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من
باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بالضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا وقرأ حفص هزوا
بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا
ما تؤمرون ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب
ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض
المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه
ما تقوم على رجل فكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر
الفتية والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي
شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة
الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما
جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة
وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة

قلت لم دخلت في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت
الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك
والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات
ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولك امرتك الخير او امركم بمعنى
مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في
التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قاني وذريحي
واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رمادي فان قلت فاقع هنا واقع خبرا
عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما يقع توكيدا لصفراء
الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك
صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في
ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة
الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل
اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه
وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء
فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه
صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب قالوا ادع لنا

يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن
حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه لو اعترضوا
ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض
الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه
بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز
اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى
فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس
جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسالته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف
بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء و
ادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه يجعل ذوا التشابه ان البقر تشابه بالياء
والتذكير وجاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله
والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل قال انه يقول انها بقرة لا
ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون
لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح
التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول
تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن
السلمي لا ذلول بالفتح اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك

موهت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حينهم وقرى تسقى بضم التا من اسقى مسلمة

سلمها الله من العيوب او معناه من العمل سلمها اهلها منه كقوله او مقبل الظهر يبنى عن ولست

ساج دينه في الدنيا ولا اعتمل او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها

شي من الالوان لاشية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى

قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه

ثور موشي القوائم الان جيت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها

اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال

لاستقصايهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها

وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها

لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له

عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت

وكان من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا

وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة اربعين سنة **فان قلت** كانت

البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات

فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول **قلت** رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة

المخصوصة والنسخ قبل الفعل جايز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة

كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا فكذلك اذا

وقع عليها بعد التخصيص **واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون** خوطبت الجماعة

لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا

اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح اولان

الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة

ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما **فان قلت** كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي

قلت قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه

وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه اما

ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله

ما كنتم تكتمون **فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون** ببعضها ببعض

البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها وقيل عجبها وقيل العظم

الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه

فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى وروي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه

تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث

قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى

وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم اياته دلايله على انه قادر على كل شي لعلكم

تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء

الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا ينكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في

زمن رسول الله فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيايه ذبح البقرة وضربه
ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوايد وانما شرط ذلك لما في ذبح
البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على
الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم وللاخرين في ترك التشديد والمسارعة
الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سوال ونفع اليتيم بالتجارة
الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازي بالا
يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق
في اختيار ما يتقرب به وان يختار فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب
يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروي عن عمر رض انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان
الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جايز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكا
ن الادا لادايه الى البدا وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو
المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان
قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا
بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرايل انما قص تعديدا
لما وجد فيهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الايات العظام وهاتان
قصتان كل واحدة منها مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى

لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبعه والثانية للتقريع على
قتل النفس المحرمة وما تبعه من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على
ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع
ولقد روعيت نكتة بعد ما استونفت الثانية استيناف قصة براسها ان وصلت
بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى
تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع
تاخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
وما الله بغافل عما تعملون معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب
ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار
وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات
المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على
الكاف اما بمعنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة
والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من
عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة
وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين

وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد
وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ
قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم وقوله
وإن من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد
قسوة وقرئ وإن من الحجارة بالتخفيف وهي إن المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام
الفارقة ومنها قوله وإن كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن
دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الأعمش والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق
واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض
فينبع منه الماء أيضا يهبط يتردى من أعلى الجبل بضم الباء والخشية مجاز عن انقياده
لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به
وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون أفتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين أن يؤمنوا
لكم أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم لقوله فآمن له لوط وقد كان فريق
منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه
كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول
في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس

وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم
شبهة في صحته وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم
سابقة في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم
ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون وإذا لقوا يعني اليهود قالوا أي
منافقوهم آمنا بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به وإذا خلا بعضهم الذين
لم ينافقوا إلى بعض إلى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم
بما بين لكم في التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم
أتحدثونهم إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون
اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به
وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله
هكذا بمعنى واحد أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا
أماني وإن هم إلا يظنون يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك إسرارهم الكفر
وإعلانهم الإيمان ومنهم أميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها
لا يعلمون الكتاب التوراة إلا أماني إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم
ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما يمنيهم أحبارهم من أن النار
لا تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على
التقليد قال أعرابي لابن دأب في شيء حدث به أهذا شيء رويته أم شيء تمنيته أي

اختلقته وقيل الا اما يقرأون من قوله تمنى كتاب الله اول الليلة والاشتقاق من تمنى
اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزره وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا
بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف في كل العلماء الذين
تعاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال
سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن
من العلم فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل
لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من
مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من
الرشى قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد
كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن
يخلف الله متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما
ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما
ويجوز ان تكون منقطعة بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله
لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات
يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص

عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من
طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما
الخطيئة فكل اية نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة
المحيطة واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا
وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب
الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر لانه كانه سورع الى الامتثال
والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول
ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون
بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم
كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع
كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل
ان لا تعبدوا ان تكون ان مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه
قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء
لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى
ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم
الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية

وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم
وأنتم تشهدون لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم لا يفعل ذلك بعضكم
ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أو دينا وقيل إذا اقتل غيره فكأنما
قتل نفسه لأنه يقتص منه ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وأنتم
تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون
اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم
أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء
والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء
المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة
تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان
لقوله ثم أنتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف
التاء وإدغامها وتتظاهرون بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون أي تتعاونون
عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى وهو ضمير الشأن ويجوز أن
يكون مبهما تفسيره إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب أي بالفداء وتكفرون ببعض

أي بالقتال والإجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير
حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم و
أخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت
كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم
ولكن نستحيي أن نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير
وقيل الجزية وإنما رد من فعل منهم ذلك منهم إلى أشد العذاب لأن عصيانه
أشد وقرئ يردون وتعملون بالياء والتاء أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان
الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة ولقد آتينا موسى الكتاب
وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون الكتاب التورية آتاه
إياها جملة واحدة ويقال قفاه إذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه
به أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله ثم أرسلنا رسلنا تترى
وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل
والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية أيشوع ومريم
بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا لم يثبت

في الابنية كما ثبت بخوغيره وقلب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومن آجده بالجيم اذا قواه
يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح
المقدسة كما يقول حاتم الجواد ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه
فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث
وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القران وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم
الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياكم ما اتيناهم
فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة
التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم
وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم
قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره
في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد
لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلم ما زالت اكلة خيبر
تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون
غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد
ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله
ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم

وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن
الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا
ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان
يكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية
للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين
ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين كتاب من عند الله هو القران مصدق لما معهم
من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة
قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله
من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه
ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم
انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه
والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر ويسأل
بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة

لجحتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا
بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من
عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ما نكرة منصوبة مفسرة
لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا
بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم فهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او
على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء
ويقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف
لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير
ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن
بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية
ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا
لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد
كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتل الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية
لا تسوغ قتل الانبياء ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون
وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها
وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور

خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم
به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى
مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا
امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه
قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ
وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا
بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة
العجل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تأمرك وكذلك اضافة
الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له قل ان كانت لكم
الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين خالصة نصب على
الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها
حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد
وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة
الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما
روي كان علي يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين
فقال يا بني لا يبالي ابوك سقط على الموت ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى

ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه
من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون وهو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في
قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حيوة
بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت
القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص
الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت
بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا
فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة
وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص
من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على
حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة
والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم
عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قولك الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن
الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا
الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا اشارة الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله
والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار
تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما

الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال
عمار بصفين الان الاقي الاحبه محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن
اليه وعن النبي صلعم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه
الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وبما جاء به و
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين
تحريف كتاب الله وساير انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه
اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا
قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل ساير الحوادث ولكان ناقلوه من اهل
الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس احد نقل ذلك فان قلت
التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس
التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت
كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا
لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم
علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على
الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب
البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع
احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه فيصدق
مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم

موضحة والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت
هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود
احدهم قلت هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه
جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن قل من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمومنين
ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلعم عمن يهبط عليه بالوحي
فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها
انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما
مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم
يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروى
انه كان لعمر رضه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع
كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم
لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم
ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل
خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا
اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن
كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر

ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال
النبي صلعم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب
من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قنشليل وجبرئيل بحذف الياء وجبريل بحذف
الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل
وجبرايل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير
في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث
يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته
على قلبك اي حفظه وفهمه اياك باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان
يقال على قلبي قلت جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به
من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه
نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل
الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه
وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في
عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته
لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته
واسأت اليه من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد
انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من

جنس لحن وسوم اذ كان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرى
ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل وميكئل كميكعل
قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم
فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة
الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون
من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من
كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل
عليك من اية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والحسن ان يكون اشارة
الى اهل الكتاب اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون اوكلما الواو للعطف
على محذوف معناه اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابو السمال بسكون
الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله
مرارا كثيرة وقرى عوهدوا واوعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ
الله الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرا عبد الله نقضه وقال فريق
منهم لان منهم من لم ينقض ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون كتاب الله يعني التورية لانهم بكفرهم برسول الله المصدق
لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القران نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول

بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به صح

كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم
كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به
وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرونه ولكنهم
نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا
حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من
احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق
واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة
التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملك سليمان وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا
يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد
دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن
تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه يسخر
الانس والجن والريح تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به
سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر
وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف
على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل

وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان من احد حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرا الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كان من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف في الوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا برسول الله والقران واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه ولقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على اثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم امنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين

افترصوا وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة نهي المومنون عنها وامروا بما
في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة وقرئ انظرنا من
الانظار اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه
بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا
راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا
في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا اسماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل
باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا اسماع
قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم
به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ
سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم
يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين يعني اليهود الذين
تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل
عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم
يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان
ينزل عليكم شي من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل

العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا
ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شي قدير الم تعلم ان الله
له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير روي انهم
طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه
ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من اية وما ننسخ بضم النون من
انسخ او ننساها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول
وقرا عبد الله ما ننسك من اية او ننسخها وقرا حذيفة ما ننسخ من اية او ننسكها ونسخ
الاية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان
يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسوها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساوها
ان يذهب الله بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من
ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات باية خير منها
للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك ان الله على كل شي قدير فهو يقدر على الخير
وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها
ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ ام تريدون ان تسالوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل لما بين
لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم على
ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم

وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها
وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان
ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ودّ كثير
من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا
واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس
ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا الى ما
اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى
منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر
بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا
وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول
الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم
قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن
دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم
ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق
بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو
والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم

واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله من خير من حسنة
من صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون
بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف
بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي
بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى
والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على
توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن
الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا
او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت
اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم
كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا
برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد
امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في
البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم
هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب

المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى احضر
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بلى اثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله
اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان
يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله
اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره
كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع
عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده
وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم
انهم من اهل الكتاب والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما من كتب الله وامن
به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا
متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة
الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء
وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما
قدموا على رسول الله اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم

على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية
فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي
استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر
فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم
ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان
يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة
ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان
النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم
غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركون رسول الله
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع
المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا بأس ان يجيء
الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى
الصالحين وكما قال عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في
خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد
الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك المانعون ما
كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها

ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة
وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر
المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد
من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا
انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله الا لا يحجن بعد هذا العام
مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرا عبد الله الا خيفا ومثل صيم وقد اختلف
الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين
المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية
ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم ولله المشرق
والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا
ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر
بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت
لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية
ممكنة في كل مكان لا تختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله
واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت

في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا
الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا
للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرئ الحسن فاينما تولوا وانتسخ التاء من التولي يريد فاينما
توجهوا القبلة وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون وقالوا وقرئ بغير واو
يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن
ذلك بل له ما في السموات والارض خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة
وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان
بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض
عن المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يكون كل من جعلوه لله ولدا
له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت
كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن
لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع
الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته
وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع
بمعنى المسمع وفيه نظر ... كن فيكون ... الكلام تمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله ... المعنى

إن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع
ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء أكد بهذا
استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام
في توالدها وقرئ بديع السموات مجروراً على أنه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب
على المدح **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم**
تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين
وقيل من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم
الملائكة وكلم موسى استكباراً منهم وعتواً أو تأتينا آية جحوداً لأن يكون ما أتاهم من آيات
الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله أتواصوا
به قد بينا الآيات لقوم ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها
والاكتفاء بها عن غيرها **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم** إنا أرسلناك
لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لأنه كان يغتم ويضيق
صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن
بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على
النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام
بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلاً عن
الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه

ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لا
يحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الأولى قراءة عبد الله ولن
تسأل وقراءة أبي وما تسأل **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله**
هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير كأنهم
قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطاً منهم لرسول الله
عن دخولهم في الإسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل إن هدى الله هو الهدى
على طريقة إجابتهم عن قولهم يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي
يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى
إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله ولئن اتبعت أهواءهم أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع بعد الذي
جاءك من العلم أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق**
تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون
ما فيه من نعت رسول الله أولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين
فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني**
جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ابتلى إبراهيم

ربه بكلمات اختبره باوامر ونواهي واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار
احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب
ذلك وقرا ابو حنيفة رح وهي قراة ابن عباس ابرهيمُ ربَّه برفع ابرهيم ونصب ربه والمعنى
انه دعاه بكلمات من الدعا فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا **فان قلت** الفاعل في
القراة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر **قلت** الاضمار
قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد منهما
اضمارا قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابرهيم
فيه متقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا
سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراتين لابرهيم بمعنى فقام بهن حق القيام
واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي وفى وفي الاخرى لله
تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما
سال ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا
ربنا تقبل منا **فان قلت** ما العامل في اذ **قلت** اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او اذ
ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك **فان قلت** فما موقع قال **قلت** هو
على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس
اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد

بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله
اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق وقص الشارب
والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجا
وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرايع الاسلام بثلثين سهما عشر في
براة التايبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون
وسال سايل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس
والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الالة كالازار لما
يؤتزر به اي ياتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي
كما يقال لك ساكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون اي من كان ظالما
من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريا من الظلم
وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته
ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب نصرة
زيد بن علي رح وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة
كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد
ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه
لو ارادوا بنا مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط

وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما
في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذيب ظلم **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا**
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين
والركع السجود والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج
والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم
وامنا وموضع امن كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا
يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء
العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون
فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه انه اخذ بيد
عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه
تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن
جابر بن عبد الله ان رسول الله استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا
فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل
مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه
قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رض انه سال المطلب بن ابي وداعة
هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم
عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم

وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي
وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا
بيتي بان طهراه او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض
والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي
اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة
كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام
والركوع والسجود هيات المصلي **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات**
من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير
اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه
كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن
كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك **فان قلت** لم خص
ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه **قلت** قاس الرزق على الامامة
فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة
الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق
من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا
للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار
المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرا ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرا يحيى بن

وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد
الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت
في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسالته اختصاص المومنين بالرزق ومن كفر فامتعه
قليلا ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة
لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا يدغم هي فيما يجاورها وهي
حروف ضم شفر واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم يرفع
حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها
الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها
اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر
ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع
فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع
السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البناء اي استوطا
يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان قبل
ابرهيم مبني على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له
بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي
فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا
البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك

الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر
ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن
على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان
والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق
عنه وقد خبي فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض
في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا
وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانه
قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل
قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد
الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم مسلمين
مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم
اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرى مسلمين على الجمع كانهما
ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا
امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا
ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان
اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء

والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة
امة محمد صلى الله عليه وارنا منقول من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين
اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء
قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذل لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل
عليها فاسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسرة وقرا عبد الله وارهم مناسكهم
وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من
انفسهم وروي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله
عليه وقال عليه السلم انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرا
عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلايل وحدانيتك وصدق انبيايك ويعلمهم الكتاب القران
والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وساير الارجاس كقوله
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في
العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل
من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد
سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل
انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ

تعريف المميز كقوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل
معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول
وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما
لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة
ولقد اصطفيناه بيان لخطا راي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين
بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الاخرة لم يكن احد
اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اذ قال ظرف لاصطفيناه
اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر
ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم
اخطر بباله النظر في الدلايل المودية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف
وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى
الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد
فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر
ان يسلم فنزلت ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام
كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابايك ابرهيم واسمعيل
واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون قرئ واوصى ووصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام
والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير

في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة
باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في
حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعنى
ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند
الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا
انا راينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو في تقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار
وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة
الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على
حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي على الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا
ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال
صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها
قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال
انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلم لا صلوة لجار المسجد الا
في المسجد فانه كقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان
موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق
هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت
ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهار

لفضلها على غيرها وايهما احتضنه بان يحث عليها ام كنتم شهداء ام المنقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه
السلم اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل
لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على
اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام
ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه
ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له
اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء
ما هم منه برآء وقرئ حضر بكسر الضاد ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء
فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم
يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما
زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان
لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك
واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلم عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت
بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا
علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله

ابرهيم بطرح اباك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف
بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا الها واحدا بدل من
اله ابايك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله ابايك الها
واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان
تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية موكدة اي ومن حالنا انا له
مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسالون عما كانوا يعملون** تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما
الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اوليك لا ينفعهم
الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بابايهم ونحوه قول
رسول الله صلعم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسالون عما
كانوا يعملون ولا تواخذون بسياتهم كما لا تنفعكم حسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين** بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اي اهل
ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ
ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال
من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قايمة والحنيف المايل عن كل دين باطل الى دين
الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا
ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي

اتباع ابرهيم وهو على الشرك **قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون** قولوا
خطاب للمومنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا
فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم
او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله والاسباط
حفدة يعقوب ذراري ابنايه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نومن ببعض ونكفر
ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه
حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل
الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد
اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى
وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان
كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت
صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء
الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل
شهادتكم التي آمنتم بها وقرا ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم

يصفوا فيما هم الا في شقاق اي مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في
شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها **فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله**
احسن من الله صبغة ونحن له عابدون فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله عليهم وقد
انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة
وان تأخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون
من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله يعني يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك
وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد
منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس
وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه
ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير
لهم واذا فعل الواحد منهم بولده قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم
قولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او
يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريق
المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن
من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن
صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة
الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج

الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه
والقول ما قالت حذام **قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون**
وقرا زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفائه
النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة
منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته
من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها
الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة
اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته
بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان يكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة
اوثان **ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل**
انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ام تقولون يحتمل فيمن قرا بالتاء ان تكون ام
معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء
اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون
منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرا بالياء لا تكون الا منقطعة
قل انتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا

نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اى كتم شهادة
الله التى عنده انه شهد بها وهى شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد
اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثانى انا لو كتمنا هذه الشهادة
لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة فى كتبهم وساير
شهاداته ومن فى قوله شهادة من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا شهدت
له ومثله براءة من الله ورسوله **سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله**
المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم سيقول السفهاء الخفاف الاحلام
وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن
والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم
فان قلت اى فايدة فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه **قلت** فايدته ان مفاجاة
المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس
وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمى يراش السهم ما
وليهم ما صرفهم عن قبلتهم وهى بيت المقدس لله المشرق والمغرب اى بلاد المشرق والمغرب والارض
كلها يهدى من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم
تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**
ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف

لرؤوف رحيم وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا
خيارا وهى صفة بالاسم الذى هو وسط الشىء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر و
المؤنث ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج
وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائى كانت هى الوسط المحمى
فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابى للحج فقال اعطنى من سطا
تهنه اراد من خيار الدنانير او عدلا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من
بعض لتكونوا شهداء على الناس روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء
بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى
الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا **فان قلت** فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم
قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جىء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله
تعالى والله على كل شىء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد وقيل لتكونوا شهداء
على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم
ويعلم بعدالتكم **فان قلت** لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا **قلت** لان
الغرض فى الاول اثبات شهادتهم على الامم وفى الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم

كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة
التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر
بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا
القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا
للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه
فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في
جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس
كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت
المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله
عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال
لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا
حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون
وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما
قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة
هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها من الردة والتحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على
الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا

للطف وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل
شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم
لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل
فصلوته غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه الى الكعبة قالوا كيف
بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم
ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله
ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ
الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام
معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون
القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان يكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا
كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع
بالتشديد قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون
قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك
تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه يتوقع من ربه ان
يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك

ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها
دون سمت بيت المقدس ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها و
وافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرا
اي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه المدينة فصلى نحو بيت
المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس
قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة
الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال
فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء
المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام
دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الى
الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم لرسول الله انه يصلي الى القبلتين يعملون تزكي بالياء والتاء
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل
اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن
شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما
انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع

قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى موافقتهم لك
وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس [illegible] لتصلب
كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل
لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الايضاح عن حقيقة
حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى
ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذن لمن المرتكبين الظلم
الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد
انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع
قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة
الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين يعرفونه يعرفون
رسول الله صلى الله عليه معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون
ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رض انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله
فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على
السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل
الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث

عن عبد الله بن سلام **فان قلت** لم اختص الابناء **قلت** لان الذكور اشهر
واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وقال فريقا منهم استثناء لمن امن منهم
او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق
خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان ان تكون اللام للعهد
اشارة الى الحق الذي عليه رسول الله او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه
هو الحق من ربك وان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي
انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل **فان قلت** اذا جعلت
الحق خبر مبتدا فما محل من ربك **قلت** يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا
وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم**
الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة
هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو لله اي الله موليها اياه وقري ولكل وجهة على الاضافة
والمعنى ولكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه
وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم
فاستبقوا الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم
يا امة محمد وجهة جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما
تكونوا يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا يعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات

من الخيرات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة
يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد
الحرام **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما**
تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا
يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ومن حيث
خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا
المامور به وقري يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان
النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البدا
فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوايدها
الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم
القايلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة
الانبياء **فان قلت** اي حجة كانت للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة
ولم يبال بحجة المعاندين **قلت** كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم
كما هو مذكور في نعته في التورية **فان قلت** كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين **قلت**
لانهم يسوقونه مساق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم
التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة
حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابايه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما الا

الذين ظلموا منهم على ان لا للتشبيه ووقف على حجة ثم استانف بنهيا فلا تخشوهم فلا تخافوا
مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم
ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم امرتكم بذلك او معطوف
على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي
الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون كما ارسلنا اما ان
يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما
انعمت به عليكم ولا تجحدوا نعمائي يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا
تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون اموات بل احياء بل هم احياء
ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حيوتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله يعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما يعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا
فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان
يجمع الله اجزاء الشهداء جملة فيحييها ويصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في
شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر
الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة
تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله

ام لا بشيء قليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند
البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله
صلى الله عليه فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يوذي المومن
فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليوذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه
ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل
كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال
والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف
الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه اذا مات ولد العبد قال الله تعالى
للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع
الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رءوف رحيم والمعنى عليهم
رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا
وسلموا لامر الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف
بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر

جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا
على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف
يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف **فان قلت** كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا
جناح عليه ان يطوف بهما **قلت** كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان
يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت
المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان
كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم
الجناح واختلف فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله
فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له
ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وينصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف
بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك
انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن
يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير **ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم** ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية
من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان
به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم

فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا
من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما
احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي
بهم غيرهم من المفسدين **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** ان الذين كفروا يعني
ان الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن
والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من
ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة **فان
قلت** ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر **قلت** اراد بالناس من
يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين في اللعنة وقيل في
النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا
يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة **والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم** اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير
للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة
فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه **ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار**

والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون
وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت
صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم
مما يحمل فيها او ينفع الناس فان قلت وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه
عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا
جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة و
باردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر
للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم
ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه ويل لمن قرا
هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرى والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين
ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي

كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وقيل
كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند
الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما
اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو
يعلم هؤلاء الذين ظلموا ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من
العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم
القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم
فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرى
ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرى اذ
يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا
كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي
تبرا المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرى بالعكس الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء
للمفعول اي تبرا الاتباع من الرؤساء وراوا العذاب الواو للحال اي تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب
وتقطعت عطف على تبرا والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والحلف

والاتباع والاستتباع كقوله لتقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء كانه قيل ليت
لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث
مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الحسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين
هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص
يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين حلالا مفعول كلوا او حال
مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او
تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين
وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو
وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي
وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به
واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم
بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم
ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله
ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي
بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم

فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء
لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما
الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم
على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا
الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون وقيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله
بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم
ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا
يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين
كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في
انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل
الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر ولا تفقه شيئا
آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام
الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم اباءهم
وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم
على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل
الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت
يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في

الحلال فلا لانما تنعق الغراب بخلاف البهائم صم بكم عمي ويحتمل الذم يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه احلت لنا ميتتان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم في بطونهم ملء بطونهم تقول اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه

الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال يا كلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به لكونه ثمنا ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك

لو لم يخلقوا ولم يأتوا الملحجر بولاه ان يكفروا **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون**

البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا بادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن على تاويل حذف المضاف اي بر من آمن او بتاويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه على حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله

وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى **فان قلت** قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة **قلت** يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم** عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة

وهو مذهب مالك والشافعي أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية ويقولون
هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على أهلها
وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة
والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت
بين العبد والحر والذكر والأنثى ويستدلون بقوله عليه السلم المسلمون تتكافؤ دماؤهم وبأن
التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي أنه كان بين
حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم
بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله حين جاء الله بالإسلام فنزلت
وأمرهم أن يتباوؤا فمن عفي له من أخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على
أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لأن
عفا لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه
من قبل أنه ولي الدم ومطالبته به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه أدنى ملابسة
أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام
فإن قلت إن عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له **قلت** يتعدى
بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك
وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب والجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما
تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته

فاستغني عن ذكر الجناية **فإن قلت** هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى
المفعول به **قلت** لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام وأعفوا
اللحى **فإن قلت** فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له
من أخيه شيء **قلت** عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة
مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها
وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على
اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها **فإن قلت** لم
قيل شيء من العفو **قلت** للإشعار بأنه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بأن
يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب إلا
الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا
يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة وليؤد إليه
القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية
تخفيف من ربكم ورحمة لأن أهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية
وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص
والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من
قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله
الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب أليم نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة وعن قتادة
العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلم لا أعافي أحدا قتل
بعد أخذ الدية **ولكم في القصاص حيوة يا أولي الألباب لعلكم تتقون** ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما

فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة
ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من
الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل
مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور
الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة اي حياة او
نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل
لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان
القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من
حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة للقلوب كقوله روحا
من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريد بكم ما في القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به
وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين
والاقربين بالمعروف حقا على المتقين** اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا
مالا كثيرا عن عائشة رض ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه
فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت
انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رض ان مولى له اراد
ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك
مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في
قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث

وبقوله عليه السلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه
بالقبول يلحقه بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت
الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين
وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين
والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين
والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالعدل فلا يوصي
للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه
على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم** فمن بدله غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع
من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء
المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله
سميع عليم وعيد للمبدل **فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم** فمن خاف فمن
توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب
الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم
بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان
تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل
لا يؤثم **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** كما كتب على الذين من
قبلكم على الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم قال علي رض اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة قديمة
اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها
وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها

من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في

زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب

على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما

وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه

بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات

عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان

وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ

ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام أياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى

الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون ومعنى

معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال

القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام

كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعليه عدة وقرئ بالنصب

فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من

ايام اخر واختلف المشايخ في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص

مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل

مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وقيل

مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال

انه في سعة من الافطار وقيل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى

يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء

فقال عامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رض ان الله لم يرخص لكم

في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن

علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضى كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام

اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة

الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم

اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤمر على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة

وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام

مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد

وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم فلم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم

في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة

او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه

او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطّيّقونه بمعنى يتطيقونه

واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في

الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه

والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار

والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا بمعنى يطيقونه اي يصومونه

جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع

اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون

وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في

الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم شهر رمضان الذي انزل
فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او
على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما
هديكم ولعلكم تشكرون —— الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه
الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة
الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت —— لم سمي شهر رمضان
قلت —— الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع
ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا لشدته عليهم وقيل لما
نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام
رمض الحر فان قلت —— فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما
وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك
رمضان فلم يغفر له قلت —— هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال
بما اعيا النطاسي حذيما ● اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القران
او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقري
بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان
تصوموا ومعنى انزل فيه القران ابتدي فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل
جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم
الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع

وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى
الحق وهو ايات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل
فان قلت —— ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت
ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل
من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم
الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر
والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت
الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى
عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم
فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر
حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقري اليسر والعسر بضمتين والفعل المعلل
محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم
تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له
بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة
العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه
الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه
متضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هديكم ويعني ولعلكم تشكرون
واراده ان تشكروا وقري ولتكملوا بالتشديد فان قلت —— هل يصح ان يكون ولتكملوا

معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه
قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد
ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء
عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال واذا سالك عبادي عني فاني
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فاني قريب
تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه
فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو
بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في
المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون كان الرجل اذا امسى حل له الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها حرم عليه الطعام والشراب
والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة
فاخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا
صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث

وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس
انه انشد وهو محرم * وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت
فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن
الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال
على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض باشروهن او لامستم النساء
دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت
استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي
الرفث بالى قلت لتضمنه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل
كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي *
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم
قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن
مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم
في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة
كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا
ما كتب الله واطلبوا ما قسم الله واثبت في اللوح المحفوظ من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا
لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن
العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتبه لكم من
المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس
واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب

اصبحوا وتموا وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر
المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها
بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا
وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله
فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه **قلت** قوله من الفجر
اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها
فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي
ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة **قلت** لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او
الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا
وخرج من ان يكون استعارة **فان قلت** فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا
البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل
فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته
فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار
وسواد الليل **قلت** غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه قفاه لانه
مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني بعض البدويات لبدوي
عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه **فان قلت** فما
تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا
ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل
ويشرب حتى يتبينا له فنزلت بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار

وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ لم يرد الاستعارة
لانتفاء الدلالة ولا التشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير
مرادة **قلت** اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب
ابي علي وابي هاشم فلا يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان
المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا
الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز
تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم
ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالان باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع
يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج
فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا
يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد
المساجد الثلثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة تلك الاحكام التي ذكرت
حدود الله فلا تقربوها **فان قلت** كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا
تعتدوها **قلت** من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق
فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي
هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة
متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه ان لكل ملك حمى
وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه

واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن
وهي حدود لا تقرب ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم
وانتم تعلمون ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه
ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة
من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان
المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي
ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من
حق اخيه فلا ياخذن منه شيا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما
حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه
وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى الحكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم
النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب
المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون
روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو
دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال
ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم
للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا
ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته يدخل ويخرج او يتخذ

سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر
بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه
اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في
نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة
لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في
شي وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت
للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم
فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا
عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال
واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان يباشر عليها
ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة
وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال
من الاتهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا
تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين
الذين يقاتلونكم يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله و
قاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان
رسول الله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس
من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون
للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون

رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع
لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وكرهوا
ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم وفي الشهر الحرام ورفع عنهم
الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ
والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم حيث ثقفتموهم حيث
وجدتموهم في حل وحرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع
الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث
اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة
اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد من القتل وقيل
لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن
والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس
من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل
في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم
عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويحتمل ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من
قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
فان قتلوكم حتى يقع القتل في بعضهم كقوله قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا
نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة

ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله خالصا ليس
للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
او ان انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم
الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو
ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة
الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون
حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها
القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة فحين هتكوا
حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما
لا يحل لكم وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين الباء في
بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها
آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم
كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في
سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله
او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية العدو روي
ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال

ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله
فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا
الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا و
اموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد
وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من
قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة
ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة
والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار

وأتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب

واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا
نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف
عليها كبعض المناسك اللازمة في الحج وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن
علي وابن عباس وابن مسعود وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة
كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشي من
التجارة والاغراض الدنيوية **فان قلت** هل فيه دليل على وجوب العمرة **قلت** ما هو
الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا

الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة
والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله
فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو
ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك
وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع **فان قلت** فقد روي عن ابن عباس انه قال
ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين
علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام
فكانت واجبة مثل الحج **قلت** كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما
يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر
ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل
كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع
من الصلوة والدليل الذي ذكرناه اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده
فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامر بفرض وتطوع وقرا
علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب
فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى
الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت
عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل
للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في
كل شي مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة

كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي
منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما
استيسر من الهدى فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع
هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني
فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي
من بعير او بقرة او شاة **فان قلت** اين ومتى ينحر هدي المحصر **قلت** ان كان
حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة ثم يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار و
عندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفعا بالابتداء
اي فعليه ما استيسر او نصبا اي فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا وسكم الخطاب للمحصرين اي لا
تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه
ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رح **فان قلت** فان النبي
صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر **قلت** كان محصره طرف الحديبية الذي الى
اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم
وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان
به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية
من صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن
كعب بن عجرة ان رسول الله صلعم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق
وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الآية وروي
انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل

جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا
وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت
الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته
انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي
المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا
ياكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم
يجد الهدي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين
احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم
التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي
لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا
نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابي
عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما **فان قلت** ما فائدة الفذلكة **قلت**
الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او
واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة
في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم
وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد اخر وفيه زيادة توصية
بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك
اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا

من الهدي وفي قراءة أبي فصيام ثلاثة أيام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة
واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه
دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك
يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام فلم
يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة
وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في
المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج اشهر اي وقت الحج اشهر
كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي
حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر فان قلت ما فائدة توقيت
الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا
ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان
الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر
معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل
العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي
عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر
فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار
فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات

عرق فأهللت منها بعمرة وقالوا العمل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة الى آخر
الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف
ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي
وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب
ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب
في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي
وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير
الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث
ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك
ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة
وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف
الى عرفة فأخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق
دون الجدال بقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه
لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا
مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله
وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها
وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون

كَلًّا على الناس نزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان
خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن
لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هديكم وان كنتم من قبله لمن الضالين فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا
وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر
كفوا عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هولاء
الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها
في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم
وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان
قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم
جناح فدعا به وقال انتم حجاج وعن عمر رضه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل
كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان
تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر
المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضه صب في دقران وهو يحرش
بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه عرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان
قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو
التانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست
للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء
لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل

الواو لاختصاصها بالمونث كتاء التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت
لابرهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها
فقال قد عرفت وقيل التقى فيها ادم وحوا فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون بها والله اعلم
بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع
عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي
صلعم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء
والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام
وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس
المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل
كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة
لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام
لحرمته وعن ابن عباس رضه انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة
لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا
منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون
الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هديكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا
كما هديكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله
من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا يعرفون كيف يذكرونه ويعبدونه وان هي المخففة

والـلام في المبارك **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ثم أفيضوا ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات **فإن قلت** فكيف موقع ثم **قلت** نحو موقعها في قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس أي من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناسي أي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي يعني أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم **فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق** فإذا قضيتم مناسككم فإذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم أو أشد ذكرا في موضع نصب عطف على آبائكم بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على أن ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق** آتنا في الدنيا اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق أي من طلب خلاق وهو النصيب وما له

الداعي في الآخرة من خلاق لأن همته مقصورة على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء **أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب** أولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا أي نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز أن يكون أولئك للفريقين جميعا وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة **واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون** الأيام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الأمر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله تديدك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لأجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه أهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار

كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه
قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه
على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه
عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما
كأنه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت أليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان
يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل
وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد
القران بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل
الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان
ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا
الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع
به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا
ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام من يعجبك اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي
يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله الان له
القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت
تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم تعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت
بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من
حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في
الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان تعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك

في الاخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم
حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من
محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام
وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم
ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم
ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى
وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد
واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها
كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد
في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك
الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف
على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي
ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد يشري نفسه يبيعها قيل نزلت في صهيب بن
سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا في الجهاد وقيل يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر حتى يقتل كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم

اي يبذلها في الجهاد صح

تخلوني وما انا عليه وخذ واما لي فتقبلوا اتى المدينة والله روف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهدا يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يد عن طاعته وقيل نزلت في الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان تكون كافة حالا من السلم لانها مونث كما يونث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع على ان المومنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشي منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم من بعد ما جاتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاتكم البينات اي الحجج والشواهد على انما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق روي ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغرا عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان كضللت وضللت ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او باسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع

ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جا من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جا من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جا الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل رض وقضا الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع ويرجع على البنا للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير جميعا سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاته فان الله شديد العقاب سل امر للرسول او لكل احد وهذا السوال سوال تقريع كما يسال الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم لقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية او خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشا بغير حساب المزين

الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرا زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المومنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاولون عليهم في الدنيا و... ون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياوه المومنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المومن المتقي وليكون بعثا للمومنين على التقوى اذا سمعوا ذلك

كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان

الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل بين نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه من الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف

ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب

ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجي البينات تشجيعا للرسول والمومنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم الباساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة

وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر
ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة
التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم
من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لانه اعلم له وبالرفع
على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجي البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية
يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما
تفعلوا من خير فان الله به عليم فان قلت كيف طابق الجواب السوال في قوله قل ما انفقتم وقد
سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من
خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم لهم وهو بيان المصرف لان
النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ؞ ان الصنيعة لا تكون صنيعة ؞ حتى يصاب بها طريق المصنع
وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع كتب عليكم
القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان تكون بمعنى الكراهة
على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط
كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي
بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل
المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهته لهم ومشقته عليهم ومنه قوله حملته امه كرها ووضعته
كرها وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه

والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل
قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة
اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون بعث رسول الله صلى الله عليه عبد
الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها
عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة
الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد
استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول
الله العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير
والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه الغنيمة والمعنى يسالك الكفار
او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن
قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل
فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان
يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني وكبائر قريش
من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول
الله والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء
على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على
الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى

فان قلت كيف صح العطف قبل تمام الصلة
من المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك قلت
وكونه في حكم الصد عن سبيل الله واى ما
معا الذى صح ذلك كان لا فصل فكانه
وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام بلا فصل

يردوكم عن دينكم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم
كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي
فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه اي يرجعهم ويطاوعهم على ما
رده اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم باحداث الردة
مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الاخرة وبها
احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها
وان رجع مسلما ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم
ان الذين امنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي
ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء
خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب يسئلونك
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل
العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة ويسئلونك عن اليتامى قل
اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم
نزلت في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان
المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله
افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم
وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا
ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا

في مدح الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا
يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت
في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا
هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير
العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا
واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو
والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة
هو حرام ولان اخر من السماء فانقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر
الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز
كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة
والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه
من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سبب
يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب
اذ ييسرونني اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور فان قلت كيف صفة الميسر
قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس
فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة

وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي
خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا
منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج
له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء
الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم
وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه اياكم
وهاتين اللعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضه ان النرد والشطرنج من الميسر
وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم
كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما ومنه الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب
فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم و
اعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة
ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام من وجوه كثيرة
العفو نقيض الجهد ومنه ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه من الجهد واستفراغ الوسع قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن
النبي صلى الله عليه ان رجلا اتاه ببيضة اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة
فاعرض عنه رسول الله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب
الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال
يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والاخرة

اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما
هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون
ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا
في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العذاب
العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم
تتفكرون لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم
وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في
الحرج فقل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان
تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ
وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم
بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم
لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرا طاوس قل اصلاح
اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام
وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم
لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة
باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون ولا تنكحوا
وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن والمشركات الحربيات والاية ثابتة
وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى

وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله الى قوله سبحانه عما يشركون

وهي منسوخة بقوله من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والمحصنات في سورة المايدة كلها ثابتة لم

ينسخ منها شي قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه بعث

مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكانت يهوي امراة

في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت

فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره فاستامره فنزلت ولامة

مومنة حرة كانت او مملوكة وكذلك لعبد مومن لان الناس كلهم عبيد الله وامائه

ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المومنة خير منها مع ذلك اولئك

اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون

بينهم وبين المومنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني واوليا الله وهم المومنون

يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهم فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يوثروا

على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن

والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النسا

في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جا مجيا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شي

يستقذر ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النسا فاجتنبوهن يعني

فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها

ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون

بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب

قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك ساير اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال

عليه السلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت

كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا

يعتزلونهن في كل شي فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقها خلاف في الاعتزال

فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا

يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عايشة ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر

الرجل امراته وهي حايض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شا وما روى

زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه ما يحل لي من امراتي وهي حايض قال لتشد

عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جا ما هو ارخص من هذا

عن عايشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقري يطهرن بالتشديد

اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف

والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراتين مما يجب العمل به فذهب ابو

حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض

لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى

تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله

من الماتي الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر

منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله

يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من

جميع الاقذار كمجامعة الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك

نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين حرث
لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي
منها النسل بالبذور وقوله فأتوا حرثكم أنى شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم
التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن
من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النسا
من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه و
اشباهها في كتاب الله اداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في
محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها
في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال كذبت اليهود نزلت وقدموا
لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل
التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترؤا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون
به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع
قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم
الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة
على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق
به هذا الغرض فان قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت
كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد
من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه
قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا ولا تجعلوا

الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم العرضة فعلة بمعنى
مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض
دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال
فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة
رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر
ارادة البر في يمينه فقيل لهم لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين
كما قال النبي صلى الله عليه لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي
هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم
اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام
في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما
فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل
ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على
الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف
مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم
واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو الطير لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو
من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على

الشيء يظنه كما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله بلى والله مما
يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام
لأنكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو
اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى
الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم
اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت
قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في
ايمانكم **للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله
سميع عليم** قرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم **فان قلت** كيف
عدي بمن وهو معدى بعلى **قلت** قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون
من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا
والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على
الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها
في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة
على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا
في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى
قوله فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين
ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا
منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة

وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم
الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة **فان قلت** كيف
موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص **قلت** موقع صحيح لان قوله فان
فاءوا فان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا
نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول **فان قلت** ما
تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع **قلت** الغالب ان العازم
للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه
ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان **والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن
احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم**
والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء **فان قلت** كيف جازت ارادتهن خاصة
واللفظ يقتضي العموم **قلت** بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء
في احد ما يصلح له كالاسم المشترك **فان قلت** فما معنى الاخبار عنهن بالتربص **قلت** هو
خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار
بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا
ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها
وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة
فان قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس
قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه

يحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعن انفسهن ويغلبنها
على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام
دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل
طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر
فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم
والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة
ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى
فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن
كما تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث فان
قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما
ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي
تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات
وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان
القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب
ثلثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة
قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون
القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان
الاخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء

كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة
المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرأ الزهري ثلثة قرو بغير همز ما خلق الله في
ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت
حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت
حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي
يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان
ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله
وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع
كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة
يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك
التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها قلت
المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو
احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا
اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل
الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم
ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة
مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت
ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال درجة زيادة
في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها

والنفاق على مصالحها الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا
مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الطلاق بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون
الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم
ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد
بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف
او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام
بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي
مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي
بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة
عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سأل
رسول الله صلى الله عليه اين الثالثة فقال عليه السلم او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة
واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في
طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله قال له انما السنة ان تستقبل
الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلاث لحديث
العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله فلم ينكر عليه وروي ان
جميلة بنت عبد الله ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها
فاتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتب

لا يجمع انا ولا ثابت

عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت
جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها
فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في
الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج
لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين
منهن ولا بمؤتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج
واخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب
كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم
الآخذون والمؤتون مما اتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا
يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب
الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل
فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل
ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان
امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها
فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها
اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه
كره له ان يأخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف
الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا
النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز

لان الخائف في هذه القراءة غيرهما من الائمة والقضاة كما في القراءة بالمجهول

ان يكون الخوف بمعنى الظن تقول اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون
اظن فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا
ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف
بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين
فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح
يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من
اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من
الاصابة لما روي عن عائشة رض ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه فقالت ان
رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة
الثوب فقال رسول الله اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها
كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر
رض فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا
ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك
فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب
سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي
حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له وعن عمر رض لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا
رجمتهما وعن عمر رض لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا

ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان
حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله
ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم
زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك
فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم
به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع
على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك
الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى امد
ويتسع في البلوغ ايضا يقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم
يصل وانما شارفه لانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه
غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان
يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن باحسان واما ان يخليها حتى تنقضي
عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى
يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك
ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب
ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق
رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازي
ويقال كن يهوديا خالصا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق

ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلم
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام
بحقها يعظكم به بما انزل عليكم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا
بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء
العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان
ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن
ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى
الزوج وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي
لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل
الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة
وان قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن
الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب
والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة
انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب
في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله ولكل احد ونحوه ذلكم
خير لكم ازكى لكم واطهر من ادناس الاثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله
يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام

والشرائع وانتم تجهلونه والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا
مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم
ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير
يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة
لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرا ابن عباس ان يكمل مكان ان يتم
الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع
الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التاويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله
قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا
الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن
اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه
بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة
لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب يجب عليه
ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي
مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة
او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان
قلت فما بال الوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون
امرا على وجه الندب او على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد
له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب

النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله
في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم **فان قلت** لم قيل المولود له
دون الوالد **قلت** ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك
ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمامون بن الرشيد شعر فانما امهات الناس اوعية
مستودعات وللاباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم
كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا
يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسير ما يجب عليه وهو ان
لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون
وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون
الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرا ابو
الحسن بالكسر على النهي وهو يحتمل البنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا
تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى
الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب
لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب
ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول
له بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده
بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا
يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل

الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار
بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده
ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه
من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فان قلت** كيف قيل بولدها وبولده
قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها
عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه
من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان
يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو
وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه
وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل
من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد
وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجب عليه اجرة رضاعه
في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على
الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا
عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه
توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في
الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي

اعلم بحال الصبي وقرى فان ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي
واسترضعتها الصبي تعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة
والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول
استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن
الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرى
ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا
وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحو
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط الجواز والصحة وانما هو ندب
الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشي الذي تعطاه المرضع من اهنا ما
يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في
امره فامروا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن
بالمعروف ويتعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين
بالقول الجميل مطيبين لنفس المراضع بما امكن حتى يومن تفريطهن بقطع معاذيرهن
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف واعلموا ان الله بما تعملون خبير والذين يتوفون منكم على تقدير
حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن
بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرى يتوفون بفتح اليا اي يستوفون
آجالهم وهي قراة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدولي كان
يمشي خلف الجنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفا فقال الله فكان احد الاسباب

الباعثة لعلي رض على ان امر بان يضع كتابا في النحو يناقضه هذه القراة
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر
وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم
قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت
من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا
بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين
فيما فعلن في انفسهن من التعريض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع
والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان
عليهم الجناح ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النسا او اكننتم في انفسكم علم الله انكم
ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا فيما عرضتم به هو ان
يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر
لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها
عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك
او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل
علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلعم
وموضعي قد دخل رسول الله صلعم على ام سلمة كانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي
عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده
من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية
والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشي بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان

تذكرهنّ بما تدلّ به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلّم
عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه
امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم
في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرّضين ولا مصرّحين
علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه
وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك
بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره
علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن
النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى شعر ولا تقربن جارة ان سرها
عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه الا ان
تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء
قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير
منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون
استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا
تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت
اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن
سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارّتهن في
الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تقول انك
تزوج غيرك ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه

ان الله غفور حليم ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في
النهي عن عقدة النكاح في العدة لان العزم على الفعل مقدمة فاذا نهي عنه كان عن الفعل
انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة
العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام
حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز
فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما
لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين
لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن
او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة
الغير المدخول بها ان سمي لها فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل
ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما
فرضتم فاثبات الجناح المنفي ثمه والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة
الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص
من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة
والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ
بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار
تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء
قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب
لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن يعني تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن

في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا على المحسنين
على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من
قتل قتيلا فله سلبه **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن
الله بما تعملون بصير** إلا أن يعفون أي المطلقات **فإن قلت** أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون
قلت الواو في الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن
والفعل مبني لا أثر فيه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة
النكاح الولي يعني إلا أن يعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة
ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن
وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج ويعفو أن يسوق إليها المهر كاملا وهو مذهب أبي
حنيفة رح والأول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر إلا أن يقال كان
الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما
ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن
مطعم أنه تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو
وعنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث
إليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق
قال فأين الفضل والتفضل أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتمروا ولا تنتفعوا
وقرأ الحسن أو يعفو الذي بسكون الواو وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيها لهما
بالألف لأنهما أختاها وقرأ أبو نهيك وأن يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين والصلوة الوسطى
أي الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت
على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلعم أنه قال يوم الأحزاب
شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها
الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها قالت
لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول
الله صلعم يقرأها فأملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن
عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فيحمل هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين
أحدهما الصلوة الوسطى إما الظهر وإما الفجر وإما المغرب على اختلاف الروايات فيها
والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن
عمر هي صلوة الظهر لأنها في وسط النهار وكان رسول الله صلعم يصليها بالهاجرة ولم
تكن صلوة أشد على أصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لأنها بين صلوتي النهار وصلوتي
الليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لأنها وتر النهار ولا ينقص في السفر من ثلث
وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على
المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين لله في قيامكم
والقنوت أن تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد
هو الركود وكف الأيدي والبصر وروي أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلوة هاب الرحمن
أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا **فإن خفتم
فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** فإن خفتم

فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم
وقيام او رجل بمعنى راجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورُجّالا بالتشديد
ورُجّلا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند
الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه الى القبلة **فاذا امنتم** فاذا زال
خوفكم **فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** من صلاة الامن او فاذا امنتم
فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون
حال الخوف وفي حال الامن **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا**
الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم
تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية
لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون
يوصون وصية كقولك انما انت سيرا البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية
ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي متاع لازواجهم
متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه
نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين
واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن
ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من
تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر

وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع
والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن
من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا **فان قلت** كيف
نسخت الاية المتقدمة المتاخرة **قلت** قد تكون الاية متقدمة في التلاوة وهي
متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء **وللمطلقات متاع**
بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب
المتعة لهن بعدما اوجبها للواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين
كما قال حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة
وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة **الم تر الى الذين خرجوا**
من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا
في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين و
تعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل
في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر
عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما راى فاوحى الله اليه نادهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر
اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم
الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون

ومن بدع التفاسير ان الوفا جمع الف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى
قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم الله وانما جي به على هذه العبارة
للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم
امروا بشي فامتثلوه امتثالا من غير ابا ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له
كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد
ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون كما بصر اوليك باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اوليك ليعتبروا
فيفوزوا ولو شا لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد
ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون
عليم بما يضمرونه وهو من ورا الجزا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة
والله يقبض ويبسط واليه ترجعون اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد
بسبعماية ... كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا
عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا
من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا
انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان
يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته

وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون
والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او
استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم
على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا قال هل عسيتم الا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى
هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم
ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون
واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كاين وانه صايب في توقعه كقوله تعالى
هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل
واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك
ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابنا
ملوكهم اربعماية واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثماية وثلثة عشر
بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك
الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم
يوت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يوتي ملكه
من يشا والله واسع عليم طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه
وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من
الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال
هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رحمانا رحيما بسم الله
الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا

كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين
الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة
على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معنى الحكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه
لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا
ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت
من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا
منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفيه عليكم
يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر
مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم
المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي
اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون
جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد
وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع
فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة
من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة
من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين التابوت
صندوق التورية وكان موسى عليه السلم اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا
يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها
راس كراس الهرة وذنب كذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه

فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها
ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان
رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه وكان ذلك آية لاصطفا
الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت
بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم
ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين
فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من
ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان
قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا
يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه
فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشياء ويودعه فلا يزال
يرجع اليه ما كان يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من
قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من
حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين و
التشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت من آل موسى وهرون قلت
الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد
يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شانهما فلما فصل طالوت
بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة
بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين

يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فصل عن موضع كذا اذا انفصل
عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي
كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف
وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى
بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب
النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة
فسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه
فمن ابتدا شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم
فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن
لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم
نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحو
من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه
واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما روي عن بعضهم بالوحي
وقري بيده بالسكون فان قلت مم استثنى قوله الا من اغترف قلت من قوله
فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما
قدم والصابيون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابيون ومعناه الرخصة في
اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا
قليلا منهم وقري غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرا ابي والاعمش الا
قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية

فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل
منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف كانه قيل لم يبق من المال الا
مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا والذين آمنوا معه
هم القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه
او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في
قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين
يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اوليك عذرهم
في الانخزال ويرد عليهم هولاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه
واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا
ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وجالوت جبار من العمالقة
من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به
في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب
فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه
وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي
يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان
يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله
وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب واتاه الله الملك في مشارق
الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة

والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا
دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون
وفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت
السخطة فاستؤصل اهل الارض تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك ايات الله
يعني القصص التي اقصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية
التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه
اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة
كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا
عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد تلك الرسل
اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله
فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله بان كلمه
من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل
عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء
فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد به محمدا صلعم
لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الايات المتكاثرة المرتقية الى الف او اكثر
ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية
على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما
فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل

وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل لولا ان الله ينصر المؤمنين على الكفار لفسدت الارض

هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحو من الافعال
فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا
والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت
نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن
عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته
وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى
الناس كافة وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل عليه السلام فقال فيم انتم
فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة
قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر
قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه
التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية من الايات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا
ما اوتيا من عظام الايات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد
تفضيلا بالايات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا محمد صلعم هو الذي اوتي منها ما لم
يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم
ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد
الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من
آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره
للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون انفقوا مما رزقناكم

أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك
ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم
أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في
حط الواجبات لأن الشفاعة ثمّ في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون أراد
والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر
مكان ومن لم يحج ولأنه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو
العلي العظيم** الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح
أن يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة
ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس وقال ابن الرقاع العاملي
وسنان أقصده النعاس فرنّقت • في عينه سنة وليس بنائم • أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو
تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً ومنه حديث موسى أنه سأل
الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً
ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب
إحداهما على الأخرى فانكسرتا ثم أوحى إليه قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو
أخذني نوم أو نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وأن أحداً لا يتمالك
أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن

ما بين أيديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والأرض
لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء من علمه من معلوماته إلا بما شاء
إلا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه
أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته وما هو
إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمّ ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور
قبضة وطي ويمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا ترى إلى قوله وما قدروا الله
حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم
والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي أنه خلق كرسياً
هو بين يدي العرش دونه السموات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو
العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والأرض وهو العلي الشأن
العظيم الملك والقدرة **فإن قلت** كيف ترتيب الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف
قلت ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد
بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالأولى بيان
لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكاً لما يدبره والثالثة
لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة
وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره **فإن
قلت** لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه
الآية في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة

يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت
نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها
اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة
افضل ما في القران فقال لهم علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة
وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي قلت
لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته
العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من ساير الاذكار وبهذا
يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه
كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر
بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم لا اكراه في
الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله
ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين اي لو
شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد
تميز الايمان من الكفر بالدلايل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان
او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها
اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع

شرح حال من اختار الكفر بالطاغوت والايمان بالله ... عليها الظهور
بالدلايل الواضحة بحال من تمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق لا انفصام ...
بالنظر والاستدلال ... بالمشاهد المحسوس ...

كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في
الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب
خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان
تنصرا قبل ان يبعث رسول الله ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما
فابيا فاختصموا الى رسول الله صلعم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فنزلت فخلاهما الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الله ولي الذين امنوا
اي ارادوا ان يومنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين
كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المومنين يخرجهم من الشبه في الدين ان
وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم
الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر الى الذي حاج
ابرهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم
فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين
الم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان اتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين
احدهما حاج لان اتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج
لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان اتاه الله الملك فكان
المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه
من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج
وقت ان اتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يوتي الله الملك الكافر قلت

فيه ولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا
وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت ربي
واميت بان اعفو عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما سمع
جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحوه ليبهته اول شيء
فهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب
ابرهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين
كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال
ربي الذي يحيي ويميت او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد
موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة
عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى
العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير او كالذي معناه او ارايت مثل
الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ
كانه قيل ارايت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو
الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر
اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة
طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التي
خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها ... فيما بعد يوما او بعض يوم ... على الظن
روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس
يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا

وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم
يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء
او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت
نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت
عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا
شرابك لم يتسن وقرا ... لم يتسه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت
عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما
ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه
وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه
وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها
هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التورية
ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب
فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني عظام الحمار او عظام
الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرا الحسن ننشرها من نشر الله الموتى
بمعنى انشرهم وقرئ بالزاي اي نحركها ونرفع بعضها الى بعض وفاعل تبين مضمر
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر
احياء الموتى وقرا ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر
وقرا عبد الله قيل اعلم فان قلت ان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت

كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن
واعلم ان الله عزيز حكيم ارني بصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت
الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى
ايجاب لما بعد النفي معناه بلى امنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم
الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم
الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا
مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره
ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا
وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح
تصورها وقال شعر وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح
وقرا ابن عباس فصرّهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الرا من صرّه يصرّه ويصرّه اذا جمعه
نحو ضرّه يضرّه ويضرّه وعنه فصرّيهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
يريد ثم جزّئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي
ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله ياتينك
سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره
بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها
لئلا تلتبس عليه بعد الاحيا ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال ياتينك سعيا وروي انه امر بان
يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان

ويخلط ريشها

يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل
كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها
وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما تشدد
في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم مثل الذين
ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو
الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى
انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا تتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل
تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به
غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق
البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض
والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع
سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع
متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق
لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه
اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم
وان امرا اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح

سايله ومن ومن منع نايله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الاذى من
والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك
المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا
من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله
فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما
من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك
الدلالة قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم قول معروف رد
جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب
الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة
يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى
منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له يا ايها الذين
آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر
فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله
لا يهدي القوم الكافرين ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا
ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه
تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه
صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون
على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على

الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون
وقوله لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او
الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل
والله بما تعملون بصير وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح
وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا
ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل
طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين
ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم
ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن
على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني
لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت
معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا
فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة
هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها
ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي
ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها
او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل
واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها

وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ
كمثل حبة وربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل و
اعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار
فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون الهمزة في ايود للانكار وقرئ جنات وذرية ضعاف
والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل
الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة
من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد صغار والجنة معاشهم
ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضه انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال
قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك
قال ضرب مثلا للعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي
حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر
صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا
فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل
والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية
على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع
التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت
علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة
وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى
كانه قيل ايود احدكم لو كان له جنة واصابه الكبر يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات

ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا
فيه واعلموا ان الله غني حميد من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم
من الحب والتمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا
على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه
ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا
تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا
عبد الله ولا تامموا وقرا ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتاممه سواء
في معنى قصده ولستم باخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا
فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه
اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح شعر
لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرا الزهري تغمضوا واغمض
وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرا قتادة
تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان
توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم
من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم اي يعدكم في الانفاق الفقر
ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين
والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا
ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور والفاحش

يعني شبه اغواء الشيطان على البخل
باغراء الآمر ثم استعير الامر للاغراء
فهو استعارة تبعية

عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها
وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وفي اجره في الآخرة يؤتي الحكمة من يشاء ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به
والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله
الحكمة وهكذا قرأ الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير
كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على
العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين
من انصار وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر
في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين
الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون
في المعاصي من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ما في نعما نكرة
غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء
خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن
ابن عباس رضي صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل
لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان
يقتدي به كان اظهاره افضل ويكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد
الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما
عطفا على محل

الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او
للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء
والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ليس عليك
هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما
تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى
الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا
ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطف من يعلم ان اللطف ينفع فيه
فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا
تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون ولستم تنفقون الا ابتغاء وجه
الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى
الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن
انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها
تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان
يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود و
رضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض
العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة
رحمه الله صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابى غيره للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا
يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما
تنفقوا من خير فان الله به عليم للفقراء متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون

للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش
لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن
بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله فمن
كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله يوما على اصحاب
الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي
من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم
اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة
الحال لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه
اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض
البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاح
جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بالليل والنهار سرا
وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا
قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين
تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة
في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل

وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية
الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا
انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله
ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة
والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب
يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط
العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس ثم انكار ذلك عندهم
كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي
لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي
كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا
اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله في
بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا
فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان
يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما
يساوي درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على
طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى
شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان

القياس بهدم النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه فمن جاءه
موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله
ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم وأمره إلى الله يحكم في شأنه
يوم القيمة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد إلى الربوا فأولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون وهذا دليل بيّن على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها
غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ وقرأ أبي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله
لا يحب كل كفار أثيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين
يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وإن كثر
إلى قُلّ ويربي الصدقات ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت
منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار أثيم تغليظ في
أمر الربوا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين وذروا ما بقي وإن ما شرطوا على الناس من ربا
لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها وروي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من
قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء ألفا على لغة طيء وعنه
ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف
إن كنتم مؤمنين إن صح إيمانكم يعني أن دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك فإن لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون فأذنوا بحرب
فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الإذن وهو
الاستماع لأنه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة فإن قلت هلا قيل

بحرب الله ورسوله قلت كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من
عند الله ورسوله وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن
تبتم من الارتباء فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها
ولا تظلمون بالنقصان منها فإن قلت هذا حكمهم إذا تابوا فما حكمهم إذا لم يتوبوا قلت
قالوا مالهم فيء للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة
فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم من غرمائكم
ذو عسرة أي ذو إعسار وقرأ عثمان ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة أي
فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى
فصاحب الحق ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل
بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظِره على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها إلى
ميسرة إلى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين
بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عِدَ الأمر الذي وعدوا وقوله تعالى وإقام
الصلوة وأن تصدقوا خير لكم ندب إلى أن يتصدقوا برءوس أموالهم على من أعسر من غرمائهم
أو ببعضها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون أنه خير لكم
فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على
حذف التاء واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ترجعون قرئ
على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله يردون
وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة

من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة
ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا الى آخره اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه
الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع
ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا
ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى
الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا
تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم
اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا
كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة • داينت اروى والديون تقضى • فمطلت بعضا وادت
بعضا • والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم
الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت
ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن
النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى
قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام
ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين
لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به
السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم عنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم

في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على
ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون
الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير
الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى
تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو
كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن
الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت
اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة
المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب
فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه
الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به
والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا
والبخس النقص وقرئ شيئا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره
وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع
للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او
صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه
انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ
شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح

وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة وتجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على
بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان
فليشهد رجل وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص
ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان
تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل
فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار
والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما
واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان
تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط
فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما
لغتان وفتذاكر وقرا حمزة ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير
فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا
ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف
منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم
احد فنزلت كنى بالسام عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن
كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداياناته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير
كتابا ان يمل لكثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان
الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا لا

او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم
اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل
من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب
من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت
يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط
على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء
فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة
حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس
ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة
وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان
يكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب
اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا
او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان
شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار
يحتمل البناء على الفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر
وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك
الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان

يعجل عن مهم ويلزم او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه
من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فسوق
بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه **وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان**
امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم
قلبه والله بما تعملون عليم على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس
ارأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن
كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو
جمع رهن كسقف وسقف ورهان **فان قلت** لم شرط السفر في الارتهان ولا
يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه في غير سفر **قلت** ليس
الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد
امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام
التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية
واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن
بعضكم بعضا فان امن بعض الداينين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي اومن اي امنه
الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي
اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الداين به وامنه منه وائتمانه له وان
يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه
بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذي ائتمن والذيتمن
وعن عاصم انه قرأ الذي اتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر

لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا
آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه
بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان **فان قلت** هلا اقتصر على قوله فانه آثم
وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده **قلت** كتمان الشهادة هو
ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى
الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما
سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح
الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك
اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم
ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم
من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والكبائر
الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب
فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله
لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله
سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما **لله ما في السموات وما في الارض وان**
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة
بالتوبة مما اظهر منه واضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل
فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن

ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا
لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد
الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب
مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف
يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ
خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية
ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط
قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على
البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تأججا •
ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى البعض
من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع
في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان
نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي
التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل
في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وقرأ ابن عباس
جمع آت الداخر الصغار

وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد
اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس
كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق
يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون
واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا
اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك
وقرئ وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه
اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا
اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته
ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها
بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر
لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير
بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس
وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم
تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان
او الخطأ ان فرطنا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء
بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه
من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا
يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان

ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان
والخطاء لكن وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يواخذون به كانه قيل
ان كان النسيان والخطاء مما يواخذ به فما منهم سبب مواخذة الا الخطاء والنسيان ويجوز
ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد
بالنعمة فيه اصرا عبا الذي ياصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير
للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير
ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي
فرق بين هذه التشديدة والتي في قوله ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل
عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات
النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل
عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد
يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او
ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان
ذلك عز امورنا التي عليك تعليما وعن ابن عباس ان رسول الله صلعم لما دعا بهذه الدعوات
قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلم من قرا بالايتين من اخر سورة البقرة في ليلة
كفتاه وعنه عليه السلم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبي قبلي
وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة
من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه من قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال
قرات سورة البقرة او قرات البقرة قلت لا باس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلعم

من اخر سورة البقرة وبخواتيم سورة البقرة وعن علي خواتيم سورة البقرة من
كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي
لا اله غيره رمى الجمرة الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين
قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرات البقرة
لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك
وقال يقال قرات السورة التي يذكر فيها البقرة وعن رسول الله صلعم السورة التي
يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية
والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد
والله عزيز ذو انتقام ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدا بما بعدها
كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة اسقطت للتخفيف
فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام
فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت ليس هذا بدرج لان ميم في
حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على
الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال
فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء
الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابرهيم وداود واسحق ولو كان لالتقاء

الساكنين في حال الوقف توجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين
ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف
وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت
الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون
الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيمّ ومديقّ فلما حركوا الدال علم
ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه
قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وما هي بمقبولة والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما
بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على
العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب
وانزل التوراة والانجيل قلت لان القران نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا الاعمش
نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن
متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت
جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه
قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او
اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر
القران بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم الجنس تعظيما
لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد
لا يقدر على مثله منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله

الا هو العزيز الحكيم لا يخفى عليه في العالم شيء فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من
كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرا
طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته
اثلة اي اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان
عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه
ما لا يخفى على الله هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب محكمات احكمت
عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن
ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه
الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القران
كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه
ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك
لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح
في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات
عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما
يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه
وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه

الذين في قلوبهم زيغ هم أهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي
يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق ابتغاء
الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب أن يأولوه
التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أي لا يهتدي إلى
تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا به
وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدي والراسخون في
العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد
الزبانية ونحوه والأول أوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين يعني
هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه كل من عند ربنا أي كل واحد
من المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض
كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر إلا أولوا الألباب مدح للراسخين بإلقاء الذهن
وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله إن تأويله
إلا عند الله وقرأ أبي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة إنك أنت الوهاب لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا
وأرشدتنا إلى دينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة
بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب ربنا إنك جامع الناس
لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد جامع الناس ليوم أي لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله
يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامعٌ الناس على الأصل إن الله لا يخلف الميعاد معناه أن الإلهية
تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد إن الذين كفروا

لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون
والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قرأ علي
رض لن يغني بسكون الياء وهو من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من في
قوله من الله مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله
أو من طاعة الله شيئا أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك
الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك
وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم
بمعنى أهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلعم وعن ابن عباس رض
هم قريظة والنضير الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان
من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدأب من قبلهم من
آل فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما
لم تغن عن أولئك أو تتقد بهم النار كما تتقد بهم يقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد
كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه كذبوا
بآياتنا تفسير لدأبهم بما فعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قل للذين كفروا هم مشركوا أهل مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الأمي
الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى
فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلعم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع
فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم

قد عرفتم انه نبي مرسل ... لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب
فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون
بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف على قل لهم قولي لك
سيغلبون **فان قلت** اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى **قلت** معنى
القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى
سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى
القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول
الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار**
قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون
المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين
اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله
كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين
مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم **فان قلت** هذا مناقض لقوله في سورة الانفال
ويقللكم في اعينهم **قلت** قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم
حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال
قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم
تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين
مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف
وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على الاخفاض
او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة
كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو **زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع
الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب** المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها
لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات
مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات
لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين
للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا
شهوات لا غير ثم يبين بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها
ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور
وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد
قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها
والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند
ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد**

للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من
ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز
ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات
وتنصره قراءة من قرا جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على
الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا
اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار الذين
يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين
الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار
لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في
الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام شبهت دلالته على وحدانيته
بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة
الاخلاص واية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة
واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال
ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده
بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما
جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة

حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على
المدح فان قلت اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا
معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب قلت قد جاء نكرة كما
جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل
وشعثا مراضيع مثل السعالى فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا
اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا
اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان تكون في الجملة التي هي
زيادة في فائدتها عاملا فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل
دخل قائما بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت
نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة
واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرا عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من
هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما
وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله اخر الحكيم
الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا
التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم
الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل و
التوحيد انه بالفتح وان الدين على الكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه

وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة ثانية مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما
فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله
قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام
هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان
من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور
لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئ ان الدين بالفتح على ان
الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه
في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح
على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين
الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرا عبد الله ان
لا اله الا هو وقرا ابي ان الدين عند الله الاسلام وهي معضودة لقراءة من فتح الاولى وكسر
الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله
فان قلت علام عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم قلت على
الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا
هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات
المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على
اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله
العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب

من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل
من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل
كتاب وهذا الجحود بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء
بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا
يطاون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد حيث امن به بعض
وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من امن بموسى ومنهم من امن
بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين
حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ
الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه
عبد الله ورسوله فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد فان حاجوك فان
جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل
فيها لغيره شركا بان اعبده وادعو الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين
القيم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني
به ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين
الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن

للمناصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون بمعنى لا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم
يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل
اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق
البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وعلا فهل انتم
منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة
وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي
الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة
وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه
فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة
الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على
طريق الهدى ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين قرا
الحسن ويُقتّلون النبيين وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا
وقرا ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء
وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة
الله وعن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال
رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف او نهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل
ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد

بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في
الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعقاب في الاخرة فان قلت لم
دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون
فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو
كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون اوتوا نصيبا من
الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض
واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم
يدعون الى كتاب الله وهي التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله دخل مدراسهم
فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابرهيم
قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا
وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم
قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم
بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم
وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من
اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم
في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم
يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي اختلافا واقعا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك
بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ذلك التولي

والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد
ايام قلايل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان
آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبايرهم
فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون
فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا
حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع
بما لا يكون روي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود
فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على
المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصايص
هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع
همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك
وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الاخران
خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك
فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم
هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب

وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة
كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ
المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان
مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر
من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان
امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم
وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت
كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي
يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك
على رغم من اعاديك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير
كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة
بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة
على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير
حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب
ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا
منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة
بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر
وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية والمحبة في الله والبغض في الله
باب عظيم وأصل من أصول الإيمان من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين
مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في
شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة
الولي وموالاة عدوه متنافيان قال الشاعر تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك
بعازب إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل
للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد
بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع
من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا
تتعرضوا لسخطه بموالاة عدوه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا
وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته قل إن تخفوا
ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير
إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله يعلمه ولم
يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى
عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم

الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص
بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون
مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح
ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض
عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه
عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه
الاسترابة فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن
اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد يوم تجد منصوب
بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين
تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم تجد
بمضمر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي
عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن يكون ما شرطية لارتفاع
تود فإن قلت فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا
كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في
ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون
تود حالا أي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا
لقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم الله بما
عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر

قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤف بالعباد
يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرافة العظيمة بالعباد
لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن
الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته
مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني**
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب
الكافرين محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره
ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة
الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم
وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا
من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رايت من
يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما
الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه
الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على
تصورها وربما رايت المني قد ملا ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملاوا اردانهم
بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبّون ويحبّكم من حبه يحبه قال شعر
أحبّ ابا ثروان من حبّ تمره • واعلم ان الرفق بالجار ارفق • ووالله لولا تمره ما حببته •
ولا كان ادنى من عبيد ومشرق • فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى
فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم **ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران**

على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم آل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل
عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان
وبين العمرانين الف وثمانماية سنة وذرية بدل من آل ابرهيم وآل عمران بعضها
من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون
من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب
من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى
بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله صلى الله عليه وقيل بعضها
من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع
عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امراة
عمران ونيتها **اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم** اذ منصوب
به وقيل باضمار اذكر وامراة عمران هي امراة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى
صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امراة عمران على اثر قوله وآل
عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن
بابرهيم كثيرا في الذكر **فان قلت** كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من
موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو
مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون **قلت** كفى
بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا
في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة
روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطاير يطعم

فرحا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا
ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه
فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي
عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشي وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم
وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان
لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما
بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها
انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم
الله او على تاويل الحبلة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا
من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى
وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشي واحد كما انث الاسم في ما كانت
امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة
فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها
انثى وما ارادت الى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها
وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته
محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما
وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشي
الذي وضعت وما علق به من عظايم الامور وان يجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة

بذلك لا تعلم منه شيا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت
على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم
شانه وعلو قدره وقرئ وضعتُ بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر
كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع
والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما
للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على
اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان
قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى
العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا
لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها
من الشيطان واغوايه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان
صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوايه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين
وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه
ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس
على الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من
يشاء بغير حساب فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه
وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما
يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها
أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روي
أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار
أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس
بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها
فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا
فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها والثاني أن يكون
مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول
حسن وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله
وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله
وعنفوانه قال القطامي: وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا
ومنه المثل خذ الأمر بقوابله أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها
نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها وقرئ
وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفلها زكريا بالتشديد والنصب ونصب زكريا الفعل لله

تعالى بمعنى وضمها إليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة
أبي وأكفلها من قوله تعالى أكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها
على لفظ الأمر في الأفعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أي فاقبلها يا ربها
وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلم محرابا في
المسجد أي غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت
في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي أنه
كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب
وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان
يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أنى لك هذا من أين لك
هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة
عليك لا سبيل للداخل به إليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي
صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه أنه جاع في زمن قحط فأهدت
له فاطمة رض رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها صلى
الله عليه أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال عليه السلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل ثم جمع رسول
الله علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو
فأوسعت فاطمة على جيرانها والله يرزق من جملة كلام مريم عليها السلام أو
من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة

دعا بذلك على جهة بحسب الاستحقاق هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
انك سميع الدعاء هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك
الوقت تقرب تقارب هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم في كرامتها
على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة
والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى
الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد
والجمع سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة
من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل
وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان
الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول قرئ يبشرك ويبشرك من
بشره وابشره ويبشرك بفتح الباء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه
للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا
بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه
لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا
بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود قومه
اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا للقوم وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة
قط ويا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات
وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل • وشارب مربح بالكاس نادمني •
لا بالحصور ولا فيها بسوار • فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل

بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان
من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين قال رب
انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء انى
يكون لي ولد استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن
العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون
كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ
الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء
بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادة قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس
ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ... آية علامة اعرف بها الحبل
لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام وانما خص
تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم
بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم
الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت
ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة و
شكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس
لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه
الا رمزا الا اشارة بيد او راس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه
قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل
وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله

متى تلقني فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم
الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار
من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته
بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه قلت
لما ادى مودى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي مع الراكعين يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة
لزكريا عليه السلم او ارهاصا لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك
بالكرامات السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا
على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت
بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع
الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني
معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد
في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك
من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
ذلك اشارة الى ما سبق من نبا زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي
لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي
استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من
اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد

والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه
وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم
ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون
بها التورية اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شانها تنافسا في
التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه
يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم
الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق
واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك
عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم على الماء فان قلت
اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل
من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته
سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان
الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا
ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر
ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن
مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت
الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه

بمجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين
اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال عن النكرة لكونها موصوفة
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في
الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السما وصحبته للملايكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجع
سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا
وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبيا من غير تفاوت بين حالة
الطفولة وحالة الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبا فيها الانبيا وقد بيع التفاسير ان
قولها رب ندا لجبريل بمعنى يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل
اني اخلق لكم من الطين كهية الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابري الاكمه والابرص واحيي
الموتى باذن الله وانبيكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان
كنتم مومنين ويعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا وقرا عاصم
ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا وهو من المنصوبات المتعلقة وقوله
اني قد جيتكم ولما بين يدي باي حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان
احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت
رسولا باني قد جيتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق
فكانه قيل وناطقا باني قد جيتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول
عطفا على كلمة اني قد جيتكم اصله باني قد جيتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني
اخلق نصب بدل من اني قد جيتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرا نافع
بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيا مثل صورة الطير فيكون طيرا كسائر الطيور

فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشي
المماثل لهية الطير

حيا طيارا وقرئ ... فانفخها قال كالهبرقي تنحي نفخ الفحما وقيل لم
يخلق غير الخفاش والاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن
في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه
ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما
كانت مداواته الا بالدعا وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية
وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان
اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ومصدقا لما بين يدي
من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجيتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جيتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون
مصدقا مردودا عليه ايضا اي جيتكم باية ومصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة
موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل
احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم وقرئ حرم على تسمية
الفاعل وهو ما بين يدي من التورية او الله عز وجل او موسى صلى الله عليه لان ذكر التورية
دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجيتكم باية من ربكم
شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا
القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل منها وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
فان قلت كيف جعل هذا القول اية من ربه قلت لان الله تعالى جعله
له علامة يعرف بها انه رسول كساير الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال
ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جيتكم باية من ربكم اي جيتكم باية بعد اخرى مما

ذكرت لكم من خلق الطير والابرا والاحيا والانبا بالخفيات وبغير من ولادتي
بغير اب ومن كلامي في المهد ومن ساير ذلك وقرا عبد الله وجيتكم بايات من ربكم فاتقوا
الله لما جيتكم به من الايات واطيعون فيما ادعوكم اليه ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم ثم ابتدا فقال ان الله ربي وربكم ومعنى من فتح ولان الله ربي وربكم
فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجيتكم باية على ان
الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن
انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين فلما
احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري
مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق
بمحذوف حالا من اليا اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجيا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه
ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن
ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه
الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم
القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبيا الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون
بالوحدانية وقيل مع امة محمد لانهم شهدا على الناس ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ومكروا
الواو لكفار بني اسرايل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله
ان رفع عيسى الى السما والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم
مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك
الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما

١٩٠

كنتم فيه تختلفون اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك
لا قتلا بايديهم ورافعك الى سمائي ومقر ملايكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء
جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا
استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السما ورافعك الان وقيل متوفي نفسك
بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نايم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ
وانت في السما امن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر
الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان
اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم
بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرى فنوفيهم بالياء فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله
لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ذلك اشارة الى ما سبق من نبا
عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب
ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القران وصف بصفة من هو من سببه او كانه
ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ان مثل عيسى
ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان ادم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له
شبه عيسى بادم اي خلق ادم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى
فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد ادم بغير اب وام قلت

مو شامل في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب [illegible] من طين ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية **الحق من ربك فلا تكن من الممترين** الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله عن ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما

دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت **فان قلت** ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء **قلت** ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه

بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم
يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته
هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع
انفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقايق
وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليوذن بانهم
مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شي اقوى منه على فضل اصحاب الكسا وفيه
برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا
الى ذلك **ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم
بالمفسدين** ان هذا الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق وقرى بتحريك الهاء على
الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل
بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان **فان قلت** لم جاز
دخول اللام على الفصل **قلت** اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل
اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان يدخل اللام على المبتدا ومن في قوله وما من
اله الا الله بمنزلة البنا على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد
على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون **قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون** يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة

سوا بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل
وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل
واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع
الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا
يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت
مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرى كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سوا
بالنصب بمعنى استوت استوا فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي
لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في
جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب
التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون زعم
كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه والمؤمنين
فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل
وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم
يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال
المحال **ها انتم هولا حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون** ها انتم
هولا للتنبيه وانتم مبتدا وهولا خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى

يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما
نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين
ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو انتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام
التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه
وانتم جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم اعلمهم بانه
بريء من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين
اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي
وهو القرب الذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ
وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على
ابرهيم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ودت طائفة هم اليهود
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال
الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين
وانما يضلون امثالهم من اشياعهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون بآيات الله بالتورية
والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وتشهدون
اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في
الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون
بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله [illegible]

وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بـ
بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به
في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين
لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض
ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا
نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه
وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت
الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا
اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره ثم صلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد
رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله الى قوله والله ذو الفضل العظيم ولا تؤمنوا متعلق
بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاهل دينكم دون غيرهم اراد اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتاب الله مثل ما
اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا
يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد
لانه في معنى الجمع بمعنى لا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم
عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله
من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله

يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم على معنى ولا
تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم
ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم
وقوله أن يؤتى معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم
من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم
والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى
ألأن يؤتى أحد فإن قلت فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم
ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم
ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى
أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا
حجتكم وقرئ إن يؤتى أحد على إن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن
تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله
فلا يحاجونكم ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم
كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأن قوله ولا تؤمنوا إلا
لمن تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من
إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون عن ابن عباس من إن تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل
من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه ومن إن تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة

عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم إلا ما دمت عليه قائما إلا مدة
دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف أو بالرفع
إلى الحاكم وإقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها
وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك إشارة إلى ترك
الأداء الذي دل عليه لا يؤده أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الأميين
سبيل أي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل
الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون
ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش
فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك
في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية
إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر وعن ابن عباس أنه سأله
رجل فقال إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون
ماذا قال نقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في
الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيبة أنفسهم ويقولون على
الله الكذب بادعائهم أن ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب
المتقين بلى إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من
أوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع إلى
من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه
فإن قلت فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الذمة بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله

قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول كل شي بالعهد الاعظم وهو ما اخذ
عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك
الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله
واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر
واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام
مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من
مسلمة اهل الكتاب ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم
ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وبايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن
به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشا ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي
رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا صفة رسول الله واخذوا
الرشوة على ذلك وقيل جات جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين
فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم
واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا
صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح
ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بير
فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال
من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في
رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب

وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة
بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا
يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر
وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان
التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم
يكن ثم نظر ثم جا فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن
يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون لفريقا هم
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراته عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا روسهم وعن مجاهد
وابن كثير يلون ووجهه انهم قلبوا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقا حركتها على
الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل
عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب
لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرى ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من
الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل
بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التورية هكذا
وقد انزل الله على موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم وياسهم من الاخرة
وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا
كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم

ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي لاحد ان يسجد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعلم وتعلمون من التعليم تدرسون تقرأون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل ويجوز ان يكون من التدريس ويجوز ان يكون منه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا بالتمسك بطاعته ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وقرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان يجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في لا يامركم وايامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوا ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ميثاق النبيين فيه اربعة اوجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق

الذين اوتوا الكتاب واللام في لما اتيتكم لام التوطية لان اخذ الميثاق في معنى
الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان يكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي اتيتكموه لتؤمنن به
وقرئ لما اتيناكم وقرأ حمزة لما اتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب
والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان
معها اعني اتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن
بالرسول ولتنصرنه لاجل اني اتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته
موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف
على اتيناكم وهو قوله ثم جاءكم رسول لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول
للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما اتيتكم
فكانه قيل للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد
بمعنى حين اتيتكم بعض الكتاب ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به
ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما
بادغامها في الميم فحذفوا احديها فصار لما ومعناه لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو
من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد
ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار
فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من
الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على
بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله

يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون دخلت همزة الانكار على الفاء
العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت
الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم
المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة
متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله
عليه فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه السلم وكل واحد من الفريقين ادعى انه
اولى به فقال صلى الله عليه كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك
ولا ناخذ بدينك فنزلت وروي يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان
الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر
في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل
على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده
وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن
له مسلمون امر رسول الله صلى الله عليه بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد
الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله
لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها
بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا
تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء وياتيهم على وجه

الا انها فقد تعسف لا دي الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا
بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له
شريكا في عبادتها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين كيف يهدي
الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ثم قال ومن يبتغ غير
الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين
وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي
الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على
تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وجاءتهم الشواهد من القران
وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه بعد ان كانوا
مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا
اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث
بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان
يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول
الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا
وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان
اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما
افسدوا ودخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل

الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فاقبل الى المدينة
وتاب وقبل رسول الله توبته ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون
ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتورية
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقران او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به
مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت
وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل
اية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا
نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان
قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما
معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل
توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين
فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم
قيل في احدى الايتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل قلت قد اوذن
بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على
الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني
له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت
فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن
ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قسوة القلوب وركوب الرين وجره الى
الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت

على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على
الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان
اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة التي هي اغلظ
الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم
من ناصرين ذهبا على التمييز وقرا الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون
نفسا رجالا فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على
المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو
افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا
في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله
ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه
يزاد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الاخر
فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن تقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق
به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء الارض ذهبا على البناء
للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن
تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها
وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه
لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى
فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال عليه السلام بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان

ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء
زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال
رسول الله اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع
له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى
يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي
ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم
حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرا عبد الله حتى تنفقوا
بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال
ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه
فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين كل الطعام
كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت
الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك
استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم
والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام لحوم الابل والبانها وقيل العروق
كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه فكان ذلك احبه
اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله
ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم

ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك الطعام غير المطعوم الواحد
الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم
حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود
ما غاظهم واشمازوا منه وامتعضوا مما نطق به القران من تحريم الطيبات عليهم
لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح
وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا
كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل
الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها
كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر بان
يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم
لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا
صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه
فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان
محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمتهم من الحجة القاطعة فاولئك هم
الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة

ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن آمن به حتى تتخلصوا
من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف
كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن
تبعه ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله
كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين
وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل يدل عليه قراءة من قرا وضع للناس
بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال
ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه انه سئل عن اول مسجد وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن
علي ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع
للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم
من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو
اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض
خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو
اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت
فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى
السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام
ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب
امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها

من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال
والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة
قال شعر اذا الشريب اخذته الاكه فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق
الجبابرة اي تدقهم لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن
حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه
على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في
الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان
لقوله ايات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان
احدهما ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة
ابرهيم عليه السلم من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني
اشتماله على الايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية
والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاؤه دون سائر ايات الانبياء عليهم السلم
اية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف
سنة اية ويجوز ان يراد فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع
من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة
على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير
سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير شعر كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث
من مواليها ومنه قوله عليه السلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في
الصلوة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة اية بينة على

التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان
قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للايات
وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت
ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه
ايات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه اية بينة من دخله
كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه اية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب
هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم
عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام
الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر
فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى
شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان امنا
وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رض لو ظفرت فيه بقاتل
الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او
ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى
يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه السلم الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة
وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رض وقف رسول الله صلعم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا

وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة
ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مايتي عام من استطاع بدل من الناس وروي
ان رسول الله صلى الله عليه فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس
وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل
اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر
على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه
فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان
ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشي
فهو سبيله وفي هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج
البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادايه والخروج من عهدته
ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما
ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد
الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على
تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او
نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغنا عنه وذلك
مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه
من الدلالة على الاستغنا عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغنا لا محالة
ولانه يدل على الاستغنا الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد
بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله

على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله
كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا
لا نومن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلعم حجوا قبل ان لا تحجوا
فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان
يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة لا
تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرى
حج البيت بالكسر **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون** الواو
للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم
فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجترءوا على الكفر باياته **قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون** قرا الحسن تُصِدّون
من اصد وعن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا
يفتنون المومنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل
اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب
ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة **فان
قلت** كيف تبغونها عوجا وهو محال **قلت** فيه معنيان احدهما انكم
تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم
صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء
ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي
لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم

وتستشهد ونكم في عظائم اموركم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد لهم [illegible]
تبغونها نصب على الحال يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
نزل في شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين
شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون
فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال
ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث
وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان
الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
فبلغ النبي صلى الله عليه فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم
فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا
ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه فما كان يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وكيف
تكفرون معنى الاستفهام فيه للانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان ايات
الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله
ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على
الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة
كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى
التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح

عنده يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون حق تقاته واجب تقواه
وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم
يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن ابن مسعود هو ان يطاع
فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تاخذه
في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد
حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد ولا تموتن الا
تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على
لقاء العدو ولا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكن تنهاه عن خلاف
الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على
شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون
قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا للاستظهار به والوثوق بحمايته بامتساك
المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام
لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم
بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى العباد وهو الايمان
والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا
يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى
صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود
والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه

او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما
ياباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية
بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف
فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد
قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين
لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله
ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين
على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير
للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر
القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في
المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت
كيف جعلوا على حرفها مشفين على الوقوع منها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين لكم
اياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب
الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم
في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع
الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار
على اصحاب الماصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى

كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر واولئك
هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه انه سئل وهو
على المنبر من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم
وعنه عليه السلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله
وخليفة كتابه وعن علي رضه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة ياتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب
اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا
في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا
فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه
واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه
الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت
ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر
الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه
والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان
نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه
وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيا لشرب الخمر باعداد الاته وان لا يغلب على ظنه
انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ
بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم
قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشر قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه

وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه
لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة
ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا
هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها
كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما
يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه
احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن
الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال وايّنا يفعل ما يقول ودّ
الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف
من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص
ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
واولئك لهم عذاب عظيم كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم
البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو اهل هذه الامة
وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم
فيها خالدون يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ
تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة
فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت

وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد
اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل
جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم
اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد
ايمانهم تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين
والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع
والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج ولما راهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال
كلاب اهل النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين
قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله غير مرة قال
فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية
ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم
عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله
ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله
ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم
فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما
للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور تلك آيات الله الواردة في الوعد
والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما
الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكّر
ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه

بارادة التباعد والرضا بهما كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل
الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله
غفورا رحيما كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله
ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ومنه قوله
كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم
قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام
مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما
يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما
يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث وحساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم
يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه ولو آمن اهل الكتاب مع
ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام
حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا
ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين
منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون لن يضروكم الا ضررا مقتصرا على اذى
بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين
ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه
تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم

وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالي به مع
انه وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت
هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي
فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم
كتوليه الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم
التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر
والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني
قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا
الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم
ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت
في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار
فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما
كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل
وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف ضربت عليهم الذلة اينما
ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون بحبل من الله في محل النصب على
الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم
عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله

وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي
التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم
المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم
اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبوا بغضب الله اي ذلك كاين بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك
بما عصوا اي ذلك كاين بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس
بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه
مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ليسوا سواء
من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما تفعلوا من خير فلن
تكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة
كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة
امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم
وعبر عن تهجدهم بقراءة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على
حسن صورة امرهم وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود اخر
رسول الله صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الاية وقوله يتلون ويؤمنون في محل
الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله

بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا
وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه
بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة
في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط
الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي
واولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم
واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف
الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفي عنه نقيض ذلك
فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول
شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه وتحرموا جزاءه
وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب
ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح
فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون الصر الريح
الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات
كما قالت ليلى الاخيلية ولم يغلب الخصم الالد ويملا الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها
ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد
بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على
اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن

توكل ان صبحني بلال فغنى الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما
كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر من الناس لا يبتغون به
وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله
مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه
لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن
سخط ابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث
الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت
هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل
اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح
وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم
الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث
الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا
به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يراد ولكنه
انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد
بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي
يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله
عليه الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز
ان يتعلق بلا تتخذوا وبطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم

١٨١

لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين
في قولهم لا الوك نصحا ولا الوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه
والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر
والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم
اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم
وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء
لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا
البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله
ومعاداة اعداء الله ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل
قلت يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء
كانه قيل بطانة غير اليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه
وابلغ ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا
يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا
بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون
في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث
يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال
وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع
ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم
في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون

ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم
المري فاقتل قوما لياما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا بغيظكم
دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم
من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات
الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو
بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فان قلت فكيف معناه على
الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل
غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا
تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي
اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم
ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة
الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا بعز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك
بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من
المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من
الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة
بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان
تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم

عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه
كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضيركم على ان
ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم
بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد
قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من
الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء يعني انه عالم بما يعملون
في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم
واذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه واصحابه ودعا عبد الله بن ابي
بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم
بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال
في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول
الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال عليه السلم اني قد رايت في
منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت
كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا
فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير
على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا يا رسول الله اصنع ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته

اصنع ما رايتم

فيضعهما حيث يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت
للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح
ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى
احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا
تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن
ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى
المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع
لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الف وقيل في تسعماية وخمسين والمشركون في ثلاثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد
الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري
فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع
عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رض اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على
الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض
الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة
اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد
كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت
معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما

تفشلان ولا يتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند
نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت
معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة
بصحة الولاية وان تلك الهمة غير الماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا
لنزولها والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب
عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع
قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم
ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح
يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثماية
وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم ماية فرس والشكة
والشوكة ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين وبدر اسم ما بين مكة والمدينة كان
لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم
به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر
موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل
ثان من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقوله لهم
يوم احد ولم ينزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم
يصبروا عن الغنايم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم ينزل الملائكة ولو تموا على ما

ولو تحقق شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا
على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من
الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم
وشوكته كالايسين من النصر بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة مسومين وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم
قال وان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم
يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى
وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر
من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا
تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان
يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم
عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد
ومنزلين بكسر الزاي يعني منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها يعني معلمين ومعلمين انفسهم
او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض
في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل
بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن
رسول الله صلى الله عليه انه قال للصحابة تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الا بشرى
لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وما جعله الله الها الا ان يمددكم اي وما جعل الله
امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت السكينة

لبني اسرائيل بشارة للنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة
اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في
الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر
ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليقطع طرفا
من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر
سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير
ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا يقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده
بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لا كبت حاسدا وارى عدوا كانهما من الكبد والرئة
واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر او بقوله وما النصر الا من عند الله ليس لك من الامر
شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء
اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم
وقيل او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم معطوف بأو على الامر او على شيء اي ليس
لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم
شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص
يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه
الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت
وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن ولله ما في السموات وما في الارض يغفر

لمن يشآء ويعذب من يشآء والله غفور رحيم عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشآء بالتوبة ولا يشآء ان يغفر الا
للتايبين ويعذب من يشآء ولا يشآء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطآء يغفر
لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون تفسير بين لمن يشآء وانهم المتوب عليهم او الظالمون لكن اهل الاهوآء والبدع
يتصامون ويتعامون عن ايات الله يخبطون خبط عشوآء ويطيبون انفسهم بما يفترون
عن ابن عباس من نحو قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشآء ويعذب من يشآء على الذنب
الصغير يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا
بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشي الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رح يقول هي
اخوف اية في القران حيث اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب
محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجآء المومنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة
رسوله ومن تامل هذه الاية وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على
الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على
العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضآء الله وعزة التوصل الى
رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في
السرآء والضرآء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرا الباقون بالواو وتنصره قراءة ابي
وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها

السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السمآء والارض
والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه
وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطاينها من استبرق وعن
ابن عباس رض كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السرآء والضرآء في حال
الرخآء واليسر وحال الضيق والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه
من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عايشة رض انها تصدقت
بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور
ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسوآء عليهم كان الواحد منهم في عرس او حبس فانه لا
يدع الاحتساب وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شي على النفس وادل على الاخلاص ولانه
كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقرآء المسلمين
كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك
على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على
انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عايشة رض ان خادما لها غاظها فقالت
لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفآء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه
وروي ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا
وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلعم ان هولآء
في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز
ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هولآء المذكورون وان يكون للعهد
فيكون اشارة الى هولآء والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم

الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين
وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك فاحشة فعلة
متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة
الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم
النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله
الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر
الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن
لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا
جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس
العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان
عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف
والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلعم ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال
من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم
عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات
بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين
منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما
في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجب

مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من
يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب
الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة
ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا
الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد شعر
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقايعه كقوله وقتلوا
تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من
التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم
وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة
للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما
يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر
المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ولا تهنوا ولا تحزنوا
تسلية من الله لرسوله عمن قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء
كلمة الله وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي
بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين

متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة
بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به
من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله
الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين قرئ قرح بفتح القاف وضمها
وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين
وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم
لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما
تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
رسول الله فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت
بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته
ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام
اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وبعض ابيات
الكتاب • فيوما لنا ويوما علينا ويوما نساء ويوما نسر • وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان
انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال
عمر هذا رسول الله صلعم وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال
فقال عمر رضه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا
والمداولة مثل المعاودة وقال شعر • يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع • يقال
داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا

معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل يعني
فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل
لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا
منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون
كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم
عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك
من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين
يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم من الشدائد
من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل
وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل
الممحصين من الذنوب وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين والتمحيص التطهير والتصفية
ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص
وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما
تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه
يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا
من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد
ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف

وروي عن ابي عمرو ويعقوب بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهضوا الى مؤتة وقيل له ردكم الله شعر لكنني اسال الرحمن مغفرة ۞ وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ۞ او طعنة بيدي حران مجهزة ۞ بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا ۞ حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ۞ ارشدك الله من غاز وقد رشدا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا

وجعل رسول الله يدعو اليّ عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هولاء وابرا اليك مما جاء به هولاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما

ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ
عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله واسلامه فلن يضر الله شيئا بنفسه فما ضر الا
نفسه لان الله لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن
النضر واصحابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الله ونعمة الاسلام فيما فعلوا وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها
وسنجزي الشاكرين المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج فعل
لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا باذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض
نفسا الا باذن من الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان
الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع
الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير
الاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا مؤقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر
ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي
الشاكرين الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء
فيهما وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا والله يحب الصابرين قرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي
ومعه ربيون حال عنه يعني قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن
سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس
والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما
ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند

الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا
ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول الذنوب و
الاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما واستقصارا فالدعاء بالاستغفار منها مقدما
على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء
وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين
فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة
بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده يريدون عرض الدنيا والله يريد
الآخرة يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ان تطيعوا
الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم
وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا
يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما
اصابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي
ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع
الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على
مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم وهو خير الناصرين بل الله مولاكم
ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين

الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما
كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الرعب في
قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك
حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان
الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها
ينجحر ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم
ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل
على المؤمنين ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط
الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال
ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلعم
جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا
يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون
يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا
فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا
ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون
العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا
الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح

دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم
على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم
من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة
رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم
منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون ولا تلوون على احد
والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون
اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا الاصعاد الذهاب في الارض
والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون
يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء
وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون
ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم
في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما يقال في اولهم واولاهم بتأويل
مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله حين صرفكم عنهم وابتلاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول
الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل
وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت
من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر
الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم
لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو ثم انزل عليكم

من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رايتني مع رسول الله عليه السلام حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه كقولك رايت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسالونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله ولاوليائه انهم الغالبون لما غلبنا قط ولما [illegible] فلو قعدتم في بيوتكم
لو كان لنا من الامر شيء اي لو [illegible]
كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه

لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص **فان قلت** كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة **قلت** قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون **فان قلت** كيف صح ان يقع ما هو مسالة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن **قلت** كان مسالتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استئنافا **ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم** استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعهم التاييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكروا تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية **فان قلت** لم قيل ببعض ما

كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير
وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة
اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز
كعاف وعفى في قوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة فان قلت
كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض فان قلت
ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون
لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في
قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم
ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة وضيق الصدور فذلك اسناده عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم
مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي
ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه
قال عند موته ما فيّ موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء
والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء على ان الضمير للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا
في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد
ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في

في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء
اي يجمع الكفار ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع المغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله
هذا الموقع مع تقدمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات
يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله
ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم وآساهم
بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك
لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم
وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم
والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي عليه السلام
ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله عليه السلام
وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم
استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد
الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت
ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل على الله
ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى
الله فليتوكل المؤمنون ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان تخذلكم كما خذلكم يوم احد
فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد

فلان تزيدا اذا جاوزته وقال ابو عبيد بن عمرو ان تخذلكم من خذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في
الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية وفيما يستوجبون به العقوبة
بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر لهم سواه ولان ايمانهم
يوجب ذلك ويقتضيه ما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق
من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء
يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول ومنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال
ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما
صح له ذلك ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه
وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله صلى الله عليه
من ذلك وينزهه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه والا
يسترب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله
اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فقال
لهم النبي عليه السلم الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا
فقال عليه السلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه
على ما روي انه بعث طلائع فغنم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي
قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا
لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يات بما غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غله بعينه

يحمله كما جاء في الحديث جاء يحمله يوم القيمة على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يوم القيمة ياتي ببعير له
رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد
بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح
خفيفة المحمل ويجوز ان يراد ياتي بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى
ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام داخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ
واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي موفى جزاءه علم انه غير متخلص
من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه افمن اتبع
رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بالعباد
هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعترهم رجالي ام هم درج السيول
وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب
والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
لقد من الله على المؤمنين على من امن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون
ببعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم
في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين
على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله عليه السلم وقراءة فاطمة من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان
ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف
وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد عليه السلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة

وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل
وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما
آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوازن به فتى من قريش
الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه
وجهان ان يراد لمن منّ الله على المؤمنين منّه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في
محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم
آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر
ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن
والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل لفي ضلال
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشأن والحديث كانوا من قبل في
ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه **اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم**
ان الله على كل شيء قدير اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم
وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع **فان قلت** علام عطفت الواو هذه الجملة **قلت** على ما مضى
من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم
كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله
والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي لاخذكم الفداء من
اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة
ويصيب منكم اخرى **وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين**

وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين فكائن باذن الله اي بتخليته استعار
الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الآذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو
كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على
نافقوا وانما لم يقل فقاتلوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قال لهم فقيل
قالوا تعالوا ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة
كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال
وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال
ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه
وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم
وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم ووجه آخر وهو ان
يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم
عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة في
المدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون
بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان
المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال
تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا
وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين
في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين

وتجهيلهم وتخطية رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك على الجملة بما نازلت وانا اعلم كله على الحاطة بتفاصيله وكيفياته

الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا

ورفعا على هم الذين نافقوا وعلى الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم

او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم

احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا

اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه

ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا

يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر

اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها يروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون

منافقا فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله

ان كنتم صادقين معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان

اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود

وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا

ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم

رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا

ولا تحسبن الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب

ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا

كيف جاز حذف المفعول الاول هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء

والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب

على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق

سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله

فرحين بما آتاهم

الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين

معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي عليه السلام لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير

خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون

باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم

وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى

ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم

الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم

على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى

نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب

وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من

ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع

وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي

وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع

الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على

المدح يعني ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ

موضع بين مكة والمدينة

ذلك رسول الله عليه فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي
سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه السلام مع جماعة حتى
بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى
لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها
في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم
واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم نادى ابو سفيان عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم
بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى
نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا
فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر
ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم
ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم
وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا
يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم
حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن
ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي
الكلمة التي قالها ابرهيم عليه السلام حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكان
معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان

الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون
والآخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل
ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين
قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت
الام رجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا
الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت
كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا
حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على
اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل
وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص
حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه
لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا بمعنى كافينا يقال احسبه
الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته
لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو
منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا
ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق
فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فازوا به وروي
انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم

وخافون إن كنتم مؤمنين الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم الشيطان هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة
مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان
ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه
يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله
فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله **فان قلت** فالام يرجع الضمير في فلا تخافوهم
على هذا التفسير **قلت** الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني
فجاهدوا مع رسول الله وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على
خوف الناس ولا تخشون احدا الا الله **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله**
الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب اليم يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد
رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك
ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك
ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما
وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة
اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضرّ به الانسان نفسه فان قيل
هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم
قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم
الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم
بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس

وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر
الذين كفروا فيمن قرا بالياء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا يحسبن
انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية
بمعنى ولا يحسبن ان املانا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام
متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا
احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان
التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك
على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او
ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان
وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء
وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع اجالهم انما نملي لهم ما هذه
حقها ان يكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل
ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا
لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للجبن والفاقة وخرجت
من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال
وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان الجبن علة للقعود عن الحرب قلت لما
كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ
يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا
لازديادهم الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض

بين الفعل ومعموله ومعناه ان الاملاء خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك
المعاجلة بالعقوبة … فاجيب قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة … معناه ولا تحسبوا
ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين

… اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المومنين المخلص والمنافقين حتى يميز
الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز يميز
ميز … لمن الخطاب في انتم … للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر
المخلصين منكم على الحال التي عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على
التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب
اي وما كان الله ليوتي احدا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر
انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان ما
في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة
اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف
الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله ليجعل
ذلك عيارا على عقايدكم وشاهدا بضمايركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة
الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب
ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره
ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان
تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب

وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يومن منا ومن يكفر
فنزلت ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير
ولا تحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا
من قرا بالياء وجعل فاعل تحسبن ضمير رسول الله عليه السلام او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون
كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا تحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه
دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل
يجعل ما بخل به من الزكوة حية تطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه
ويقول انا مالك وعن النبي عليه السلام في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع ويروى بشجاع اسود وعن النخعي
سيطوقون من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم
يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ يعملون بالياء
والتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فاما ان قالوه عن اعتقاد لذلك او استهزاء بالقرآن وايا ما كان
فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق
ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحايف الحفظة او سنحفظه
ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب ما قالوا
وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب ما قالوا على
جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء

فتنته له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه
سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله عليه السلم كتب
مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم
لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة غلت ونقول لهم
ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس
وذق وقال ابو سفين لحمزة رض ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء
وقرأ الحسن سيكتب بالتاء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل
كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد
على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت
معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن الذين قالوا ان الله
عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الاية الخاصة وهي ان يرينا قربانا تنزل
نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك اياتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل النار
من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الاتي به الا لكونه
معجزة فهو اذن وساير الايات سواء والمعجزات يعينه الله من بين الايات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاءوهم
بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاءوهم ايضا بهذه الاية التي اقترحوها فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
ان الايمان يلزمكم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت فما معنى قوله

قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي
لما قالوا وفي مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله عليه السلم من تكذيب قومه
وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم
تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم
عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض
الاجور زحزح نحي والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول
لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم
وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي عليه السلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل
الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا حث على المحافظة على
حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين
فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما
من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى
والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها
ويشمئز منها والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي
الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في

لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطية من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه
لرسول الله عليه السلام وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك
الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان
ذلك عزمة من عزمات الله لابد لكم ان تصبروا وتتقوا **واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه**
للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون اي اذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق
اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم
عليه وقيل له الله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الكتاب وتركوه عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاوه بين
عينيه وكفى دليلا على انه ياخذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموا وان لا يكتموا منه شيئا
لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام
دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي عليه السلام من كتم
علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله
لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد
من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي ما اخذ
الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه بالياء لانهم غيب وبالتاء
على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن **لا تحسبن الذين يفرحون**
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم الخطاب لرسول الله عليه السلام
واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا
فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا تحسبن فلا تحسبنهم

بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل لرسول الله عليه السلام وقرا ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على
ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا تحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا تحسبن انفسهم
الذين يفرحون فائزين وفلا تحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى
انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ اتوا
بمعنى اعطوا وعن علي بما اوتوا وبمعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه وروي ان رسول الله عليه السلام سال اليهود
عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع
الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم
عليك ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق فيما سالتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون
بما اتوا بما اوتوا من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم
تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من
اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على
الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان
يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل
شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لايات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب
للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب
الفطر وفي النصائح الصغار املاء عينيك من زينة هذه الكواكب واجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة
مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر قلت لعائشة
اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله عليه السلام فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي

ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير ان في خلق السموات والارض لايات لاولي الالباب

فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت
يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر
من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل
يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلوة الغداة فراه يبكي
فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما
لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن
لاكها بين فكيه ولم يتامل وعن علي ان النبي عليه السلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء
ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرايل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة
فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال ما اذكر قالت لعلك نظرت
مرة الى السماء فلم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا من ذاك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار يذكرون الله
ذاكرين على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر
وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله
يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي عليه السلم من احب
ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم
قال رسول الله عليه السلم لعمران بن الحصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى
جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة
انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه
قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه

اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجايبه على عظم شان
الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب
غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي عليه السلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع
راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال
النبي عليه السلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات
وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي عليه السلم لا تفضلوني على
يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض ~~ما خلقت هذا باطلا بغير حكمة بل~~
قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل
عمل اهل الارض ما خلقت خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين
وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء
من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل
ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها
في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا
القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان
تخلق شيئا بغير حكمة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار فقد
اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك
ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا
ناصر له بشفاعة ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم

فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره
ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله **فان قلت**
فاي فايدة في الجمع بين المنادي وينادي **قلت** ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي
لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النايرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او
لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك واذا
قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه
لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية
ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن
كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبايرنا سيآتنا صغايرنا مع الابرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب **ربنا وآتنا**
ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد على رسلك هذه صلة للوعد في قولك وعد الله
الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله
آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك
لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة
على الاعدا **فان قلت** كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه طلب
التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو من باب اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبيا عليهم السلم
يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا الذي هو
سيما العبودية **فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم**

من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم
سياتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب
يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء
وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض
اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه
لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة
النسا مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع
الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النسا فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم
على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفايقة وهي المهاجرة
عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا
بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا
وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على
التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا
وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن
عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر
عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وتملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى
وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن
الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه
وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق

من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن
حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رفع الدعاء وما آذن
به فلا بد من تقدمه بين يدي الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد
لا يغرنك الخطاب لرسول الله او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل
واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون
ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون
ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع
والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان
احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل
لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه
كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر
اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب
وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون
الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما
فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل
قليل قال رسول الله ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد
وساء ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار نزلا من عند الله وما عند الله
خير للابرار النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف

والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا او عطاء من عند الله من الكثير الدائم
خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون
وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم
وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب وان من اهل الكتاب عن مجاهد
نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من
الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة
ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا
على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه واستغفر له
فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء
على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين
خاشعين حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم
يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما اختص بهم من الاجر وهو ما وعده في
قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو
عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يريد ان ما يوعدون لآت قريب بعد ذكر الوعد يا ايها
الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا
اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة
باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب عليه الصبر تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور
رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وعن النبي عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل

صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا يفتل عن صلوته الا لحاجة عن رسول الله عليه السلم
من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلم من قرا
السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم وملائكته حتى تحجب الشمس

تمت

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni Kayıt No:
Eski Kayıt No: 350